لبيب الرياشي

فلسفة الدين الإسلامي



دار ريحاني للطباعة والنشر - بيروت

al-Riyashi, Labib

لبيب الرياشي

Nafsiyat al-rasul

نفسية الرسول العربي

محمد بن عبد الله

السوبرمن الأول العالمي

الكتاب الأول

الكتابان الاول والثاني

مع : مقدمة محمدية
للشيخ عبد القادر المغربي
رئيس المجمع العلمي العربي
ومقدمة مسيحية
للاستاذ امين بك نخله
ودرس فلسفي بالافرنسية
للفيلسوف الدكتور رضا توفيق بك

Etude Philosophique par
le philosophe
RIZA TOUFIC BEY

الطبعة الرابعة

* السوبرمن — تعريف بلفظة — اطلقه عظيم كتاب العالم واعمقهم فكراً «نيتشه» على اعظم واسمى انسي .

نعم على اعظم واسمى انسي — يعيش بلحمه ودمه وعصبه ، كانسان ، ويلامس بكمال عقله ودقة فكره جلال الله .

اذن السوبرمن بتعريف «نيتشه» هو حلقة الوصل بين الرب الرحيم الصبور الحكيم القدير والانسي البشير ، النذير ، الصبور ، الحكيم القدير .

اطلالة على الطبعة الرابعة

اروع شيء في الحيـــاة ان نحادث عظيماً من عظماء بناة التاريخ الانساني ... وان نكتشف اسرار امجاده في ذلكم التاريخ .. وان نعتبر في الهداية التي اطلقها – نوراً للناس . والمدنية التي رفعها – على اركان وطيـدة . والثروة التي قدمها – قوة غذائية للباحثين المحللين . والرجال الذين صنعهم – للعدل أئمة .

هذه الروعة كانت الشرعة الاولى لدستور حياتنا في عالمنا الدراسي ولا تزال ...

اما الشرعة الثانية ،

الشرعة الجامعية التي تجري في دمنا وعصبنا وتتأزّز في دماغنـــا ، وتتهلل بغبطة في جماع كوننا ، ففي الكلمات المعدودة المحدودة الآتية :

الافضل للرجل – الانساني – ان يهلك ويغترب عن الخلق ، من ان يحرم من قول الحق .

بهاتين الشرعتين **قلنا وبها آمنا وعملنا** فكان هذا الكتاب بجزئيه.. الكتاب الذي نقدمه اليوم في طبعته الرابعة – **لعشاق – الحق والنور** رجآء ان يكون مرآة لتلكم الصفوة المفكـّرة المتوهجة – سرائرها – بنور العلم ، والمعرفة ، والفطنة ، والتجرد ، والثقافة الجامعة .

رجآء ان يكون ذلك ليتجاوب شعورنا المتماثل المتزن – في دنيـــا العقل . وتخفق اعلامنا الزاهية المتحابة المتآخية في فلك – الحق.

فنتناصف

واذا تناصفنا ؛ تحاببنا – فتعايشنا بسلام .

فلسفة الدين الاسلامي

قضية الرسول العربي | الكتاب الاول

مقدمة الطبعة الثانية

لقد آن الاوان ، ودقت الساعة التاريخية – ليعيد الشعب العربي مجد : – العقل ، والضمير ، والنشاط ، والتجرد ، والسماحة باعادة مجده – فيتولى مرة ثانية – الزعامة العالمية .

نعم الزعامة العالمية التي هي : زعامة روحية ، وزعامة تفكيرية ، وزعامة قوة ، وزعامة تجرد وسماحة ، وزعامة علم عملي ، وزعامة عدل وضّاء ، وعهد عزة غلباء .

ان شعباً أدرك اليوم ، بعد ان أدرك في عهد الرسالة ان رسوله ورسول الناس كافة بشّره بقدره كما بشّر الانسانية كلها بسموها .

بشر : ان الانسان خليفة الله في الارض .

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » .

ان شعباً ادرك مدى السلطان الذي استخصه الله به على العوالم كلها – ليتفهّم هذا الانسان خليفة الله – سر العوالم ، فيستبطن كنهها – ليكون خليفة بحق .

ان شعباً ادرك وزكن ان الله عظم المهـام التي أُلقيت على عاتق خليفته ، كما شعر بالمسؤولية المطهرة التي سكبها الرسول في دماغه في حديثه « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته ».

ان شعباً ادرك قول الله ؛ وزكن حديث الرسول لجـدير به ان ينشط فيعمل في القرن الرابع عشر الهجري ما عمله سلفه الخيّر في ثلاثين سنة في القرن الاول المحمدي .

لقد كان العرب في التاريخ العالمي وقبل الرسالة المحمدية مستعمَرين مستعبدين للاغيار من الامم كما كانوا مكبلين بسلاسل الجهل، والامية، والظلم ؛ والتفرقة . اذا كانوا في العزة السياسية ، والعلمية ، والاجتماعية لا شيء .

اولئك الذين كانوا ـ لا شيء اصبحوا بعد تفهم رسالة محمد بن عبدالله الهاشمي ـ مستقلين ، علماء ، متحدين ، اقوياء اعزاء : في السياسة ، وفي العلم ، وفي الاجتماع ، وفي العدل ... اصبحوا :

كل شيء ـ وبثلاثين عام .

ان تكهناً نقوله بصدر منشرح ـ لمحقق باذن الرحمن الرحيم ـ من ان التاريخ سيعيد نفسه .

من ان العرب سيصبحون بعد ثلاثين عام من عامنا هذا كل شيء ، وكل شيء صالح ـ بعد ان مرّت بنا عصور ظلمة وظلم كنا بها امام الامم والعالم وامام نفوسنا ـ لا شيء .

١٩٣٧

ترجمة الكتاب

نفدت الطبعة الاولى من هذا الكتاب الذي يُعد البعث .

نفدت نسخه بعد صدوره باربعة اشهر . ومتى علم القارىء انه قبل ان يمرّ على انتشاره ثلاثة اشهر سألنا العالِم الشيخ سليمان الندوي – سيد دار المصنفين اعظم كده في الهند ترجمتـــه للغة الهندية . كما سألنا في بونوس ايرس – الارجنتين – اميركا – الاديب الشاعر السيد زكي قنصل والدكتور السيد سالمون عبود ترجمته للغة الاسبانية لغة سرفنتس كما يقولان .

متى علم المطالع ما تقدم وطالع آراء اقطاب رجالات العلم في العالم العربي المنشورة في آخر هذه الطبعة وفي مقدمتها .

متى قرأ كل ذلك وعرفه – شعر بادبه الغض – ان العلماء وملوك العرب غمرونا بتقديرهم النضير .

نقول هذا وفي الصدر – للرسول – العظيم – ذمة .

وفي الفؤاد – لاقطاب العلم والمترجمين طيب الثناء .

لبيب

الخالد الذكر الامام :

الشيخ محمد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الازهر

أبدى رأيه في كتاب (نفسية الرسول العربي) بهذه الرسالة

مكتب شيخ الجامع الازهر القاهرة في ١٩ يناير سنة ١٩٣٦

رقم ٨٣٢ / ٤٢

حضرة السيد المحترم الشيخ لبيب الرياشي

ايها السيد العربي

تقبل تهنئتي الخالصة على ما وفقك الله من تحليل بعض صفات للنبي الكريم محمد صلوات الله متتابعة عليه وعلى آله في الكتاب الذي اسميته « نفسية الرسول العربي » .

لقد شرح الله صدرك فأودعت ما ألهمت في هذا الكتاب فشرحت صدور قوم مؤمنين وبدأت توجد دواء المعاندين والجاحدين .

وان اخلاصك للحق والعلم وتجردك من كل موروث من العقائد والتقاليد هو الذي جعلك تخلص الاخلاص كله للنبي العربي صلوات الله عليه وتلك فضيلة العلماء ، وخاصة الحكماء ، ولو ان الناس حافظوا عليها وجروا في البحث على منهجها لقل النزاع وضاقت دائرة الخلاف .

اسأل الله ان يزيد وفرك ، ويشرح صدرك ، ويبارك في عمرك .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد مصطفى المراغي

المقدمة المحمدية

بقلم العلامة الكبير الشيخ عبد القادر المغربي
رئيس المجمع العلمي العربي

سألنا العلامة المغربي ان يتلطف بكتابة المقدمة المحمدية في كتابنا لما نعلم من مكانة الاستاذ الشيخ في العلوم الاسلامية وبالاخص ما يتعلق منها بحياة الرسول العظيم وسيرته . وسيرى القراء في هذه المقدمة المحمدية اننا قد كاننا لها ابن بجدتها بل – شيخ بجدتها

المؤلف

لم يأتنا الكاتب العبقري لبيب الرياشي بشيء جديد من سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه «نفسية الرسول العربي» ولا بالبِدَع من اقواله واخباره وانما اتى ببدع من الاسلوب في ايراد تلك السيرة . وعرض هذه الاخبار والاقوال علينا . **حتى كاننا لا عهد لنا بها او اننا لم نسمعها من قبل .**

وهذا هو التجديد في الدين الذي قام به ودعا اليه بعض علماء الاسلام في الازمنة المتأخرة : ان نورد التعاليم الدينية ، ووقائع السيرة النبوية ، في اسلوب يكون فيه جدة ، وفيه طرافة ، تلتحم مع عقليتنا الحديثة ، كالجدة والطرافة التي لمستها لمساً في كتاب « نفسية الرسول العربي » فكنت أشعر وانا اتصفحه بعاطفة مشتبهة الموارد والمصادر :

أهي عاطفة تيه وفخر بمحمد (ص) ؟

أو عاطفة شكر واعتراف بالجميل للمؤلف ؟

أو عاطفة اعجاب بقوة براهينه وابداعه في اسلوبه ؟

كنت اقرأ المقدمات التي يضعها بين يدي النص الذي يستشهد به فأطرب لهذه المقدمات طربي للانغام الجميلة . حتى اذا جاء بالنص نفسه أثار في نفسي طرباً آخر لا يوصف ، كانما هو « قرار موسيقي » جيء به بعد ترجيع الصوت طويلاً ، بمستعذب الالحان .

هذا ما خطر لي لاول وهلة وانا اقرأ في ذلكم الكتاب ، ثم قام في نفسي خاطر آخر وهو كثرة ما اصبحنا نقرأ للكتبة المسيحيين الغربيين والشرقيين من انصاف النبي العربي . والتغني بمحـــامده ، والرجوع في في سيرته الى ما استنتجه العقل ، لا الى ما وسوست بـــه العاطفة ، او أملته العصبية الموروثة .

من هؤلاء الكتبة « كارليل » وما قاله في كتابه « الابطال » من وصف عبقرية محمد (ص) وبطولته في نبوته .

وقد ضرب على نغمته هـذه الاستاذ محبوب الخوري الشرتوني من شعرائنا في المهجر . فقال من قصيدة :

« قالوا : تحب العُرْبَ . قلت أحبهم :

يقضي الجوار عليَّ والأرحـــام »

« فمحمد بطـــل البرية كلهـــا

هو للاعارب اجمعين إمـــام »

ولم ننسَ بعدُ حلاوة الخطاب الذي القاه صديقنا فارس بك الخوري في حفلة المولد النبوي في الصيف الماضي : فقد نبّهنا بعد ان كنا غافلين الى تلك الكلمة التاريخية التي اجاب بها جعفرُ بن ابي طالب نجاشي الحبش ،

وقد سأله عن خبرهم في مكة وسبب لجوئهم الى بلاده ، فقال جعفر : كنا اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة . . . . . .

. . . .

حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه الخ .

وهذا النص من السيرة قد لا يجهله مسلم لكنه قلما يتأثر به وهو يسمعه مفرغاً في اسلوب غض من فم اكبر مفكر عربي مسيحي في هذا العصر .

حاك الاستاذ فارس حول هذا النص من بلاغته وسحر بيانه حلّة من فاخر عَصْب اليمن ، ونشرها على ابناء يعرب منذ نصف سنة . بينا كان الاستاذ « الرياشي » يعمل قبله باشهر على تتبع امثال هذا النص من نصوص السيرة وينسج حولها من البرود وفاخر الحلل ما يفتح العيون ويكشف الرين عن القلوب .

وللمرء ان يتساءل : ما الذي حمل الاحرار من اخواننا المسيحيين العرب على الاشادة بمدح النبي العربي بعد ان ظلوا سكوتاً كل هذه المدة؟

يَفُون ديوناً للنبي عليهم مذ برأ مريم البتول وابنها عيسى (له المجد) من كل سوء ، وأوجب لهما على البشر من حقوق التعظيم والتنزيه ما اوجبه لنفسه .

لا : وانما هو الجوار والمعاشرة والارحام العربية المتشابكة منذ القديم .

وهذا ما دفع الاستاذ محبوب الخوري الشرتوني وأنطقه بشعره السابق :

« قالوا تحب العُرْب ؟ قلت احبهم :
يقضي الجوار عليَّ والأرحـام »

لا : وانما الشرق مسلم قبل كل شيء ، ولا يمكن ان ينهض نهضة صحيحة منتجة تضاهي نهضة الغرب المسيحي ما لم تُترك للمسلمين حريتهم

فينهضوا هم بانفسهم كما نهض الاتراك الكماليون – وما لم تدرس (الاقليات) العربية المنبثة في الشرق سيرة النبي العربي بحرية وانصاف وتعترف له وهو مفخرة القومية العربية اعترافها لصموئيل ودانيال وهم اغراب عنها .

فلا يسبقنا الترك بهولاكو وجنكيزخان . والايرانيون برستم وافريدون . ونقعد نحن عن التغني بمفخرتنا وباعث قوميتنا :

« قم فقد قامت الطيور تغني
لا يكون الحمام اطرب منا »

والفرق بين محمد (ص) العربي وبين من ذكرنا من عظماء الاعاجم ظاهر ، واثرهم واثره في الوجود للعيان – ماثل .

لا هذا ولا ذاك . وانما الامر ما صدع به الاستاذ الرياشي : فهو قد أسس لنفسه ولمن كان على رأيه من احرار قومه (المتجردين المتطهرين) مدرسة جديدة وضع حجرها الاساسي بيده . واعلنها في فاتحة كتابه « نفسية الرسول العربي » فقال :

« لنتجرّد ... ولنتطهّر ... من جذام التعصب وأثرة الجنسية ... ما ندمت على شيء في حياتي ندماً عصبياً ساحقاً مثل ندمي على جهلي نفسية الرسول العربي والامام الاعظم العالمي ، « محمد بن عبدالله » في ايامي الماضيات وسنواتي الغابرات ، اما لو درست تلك الحياة ، وهاتيك النفسية ، وتفهمت جوهرها ، واستنرت بنورها منذ ربع قرن للامست الحق معشوق عقلي ودمي وعصبي ، فبعث الحق في شخصيتي الجسمية والنفسية قوة كونية عظيمة رصينة حكيمة من هدي الرسول العربي العالمي ومن نور عقله ، ولكنت اذ ذاك رجلاً غير هذا الرجل ، ومفكراً غير هذا المفكر » .

والكتاب فيه من امثال هـذه الاقوال الحرّة والآراء الجريئة في وصف روحية محمد (ص) وجليل صفاته، وجميل خصاله — ما هو شرح وتفسير لما ادمجه في فاتحته الآنفة.

وقد عجبتُ أشدّ التعجب ممن درسوا حياة محمد(ص) وسمعوا كلماته الالهية وبقوا على عنادهم ومكابرتهم:

« يا فاطمة بنت محمد اعملي، لا اغني عنك من الله شيئاً ». « ان اكرمكم عند الله اتقاكم ». « الخلق كلهم عيال الله ». « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ».

وقد ذكرتُ للقارىء هذه النصوص (او القرارات الموسيقية) من دون ان اذكر له مقدماتها المنطقية، ولو سمعها القـــارىء من فم قلم « الرباشي » لكان لموسيقية « بشارفها » في نفسه أشد الطرب، وفي وجدانه اشد الاقتناع.

وهكذا كل ما انا مستشهد به من اقواله هو في اسلوب المؤلف وفي ايراده له — غيره في اسلوبي الباهت، وايرادي المقتضَب.

ومما دهش له المؤلف من امر النبي (ص) تسويته بين اجناس البشر الى ابعد حدود التسوية: تسوية انقلب فيهـا الرقّ في شرع محمد الى إمارة وسلطان — بلال الحبشي تطأطىء له الكعبة فيصعد على هامتهـــا وينادي بالأذان الى عبادة الله من فوقهـــا: كأنه يقول: هؤلاء انتم يا جبابرة العرب، وهذه الكعبة اقدس مكان في نفوسكم. جعل محمد لي الحق والصلاحية ان ارتقي عليها. وادعوكم أنا أنا العبد الاسود، وانتم انتم السادة الغرّ — الى عبادة ربي وربكم من فوقها.

فما هذه المساواة بين البشر وما هـذا الرق العجيب الذي جعله محمد طريقاً الى السلطان الاعلى في الدين والدنيا.

ودهش المؤلف من ان يكتب الكاتبون عن نابليون مئتي الف مجلد ولم يمرّ عليه سوى مئة سنة، ولم يكتبوا عن محمد (ص) بعد مرور ١٣٥٤ سنة الا نحو مئتي مجلد من دون ان يتفنن كتبتها في اساليبها المشوقة اللافتة النظر، بل كادت تكون مفرغة في قالب واحد من التعبير والترديد. وفي رأيه ان المسلمين لو فقهوا اسرار سيرة نبيهم، وعملوا بشرعه بأتم وأكمل مما فقهوا وعملوا — لكانوا هم والعالم غير ما هما عليه اليوم.

والمؤلف قلما يذكر محمداً (ص) الا ويلقبه بالرسول العربي لكنه احياناً كثيرة وعلى غلاف كتابه يلقبه بالسوبرمن الاول العالمي.

ولا يوحشنّ المشايخ الكرام هذا التعبير في تلقيبه صلى الله عليه وسلم فان المؤلف لم يُرِدْ به الا خيراً، لم يُرِدْ به الا مخاطبة طبقة من مثقفي هذا العصر بلهجتهم الفلسفية التي اقتبسوها من مدرسة الفيلسوف الالماني المشهور «نيتشه» فان هذا المفكر الكبير تنبأ انه سينسل من اصلاب هذا البشر الحاضر انسان يكون أرقى من آبائه نفساً وروحاً وعقلاً.

فكأن المؤلف يقول لنيتشه وتلاميذ مدرسته: ان «السوبرمن» الذي تنتظرونه قد تجسد في محمد صلى الله عليه وسلم.

ومعنى «السوبرمن» في الانكليزية الانسان الاكمل: فمحمد هو اكمل بني نوعه، وأولهم في المرتبة. وهو للبشر كلهم لا للعرب خاصة. هذا تحليل معنى قوله «السوبرمن» الاول العالمي.

والذي اثار هذه العاطفة بل عاصفة النخوة العربيـة في نفس المؤلف فكتب هذا الكتاب — أن احد علماء «الاكاديمي» الافرنسية ألف كتاباً ذكر فيه فلاسفة العالم وأثر تعاليمهم في حياة البشر، ولم يذكر محمداً (ص) ولا تأثير تعاليمه فيهم وفي تطورهم.

فغاظه ذلك. واقبل على القرآن يقرؤه فرأى فيه ما لم ير في اقوال اولئك الفلاسفة .

وفي اثناء ذلك سمع صوت المؤذن في بعض القرى فاختلجت في نفسه روح جديدة ، وانتبه الى شيء لم يكن قد انتبه اليه من قبل ، فألف هذا الكتاب على الاثر .

ومما زاد دهشته من امر «السوبرمن » الاول العالمي ان اصحاب النبي (ص) واتباعه حتى خصومه ومناوئيه عاشروه طويلاً ودرسوا حياته وقلّبوه ظهراً لبطن « وعروه من كل دهان مزخرف » فبدل ان يملوه ويزهدوا فيه كما هي العادة في ما أِلف ، وخولط وعُرف . تراهم على العكس ازدادوا حباً له ، ورغبة فيه ، وتمسكاً بولائه .

فرفع الحجاب القائم بينه وبين الناس لم يكن الا ليزيده عظمة وهيبة في نفوسهم ، وهذا مخالف لمبادىء علم النفس ، وهو معجزة من معجزات محمد (ص) .

ومن هذه المعجزات الفرق العظيم بين مطامح محمد ومطامح الآخرين من عظماء البشر . فان مطامح هؤلاء تنتهي عند حد الغلبة والقهر وانتهاب مُتَع الحياة على اختلاف ضروبها .

اما مطامح محمد (ص) فلا تنتهي الا عند حد إقامة العدل وتأييد الحق ، واسعاد البشر ، والترفيه على الانسانية المعذبة .

وضرب المؤلف لذلك الامثال والشواهد ، ومنها ان قريشاً توسطوا عمه ابا طالب في ان يملكوا ابن اخيه ، ويهبوه كل امانيه على ان يترك تحقير اديانهم ودعوته ضد اوثانهم .

فكلمه عمه في ذلك ، فشهق النبي وبكى وقال كلمته الخالدة: « والله ياعماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر حتى يُظهره الله او اهلك دونه ما تركته ».

ولا جرم ان هذا موقف من معجزاته التي ليست لغيره من عظماء البشر .

وكأن قريشاً اتهموا عمه ابا طالب في امر هذه الوساطة بينهم وبين ابن اخيه ، فأرسلوا اليه من ساداتهم عتبة بن ابي ربيعة فكلم النبي (ص) بلهجة فيها شدة ، وفيها وقاحة ، وفيها تعريض به ، وانه في حاجة الى طبيب يشفيه ، او مال يُغنيه .

فلم يجبه النبي (ص) بسوى سورة « فصلت » وسرد المصنف السورة بأكملها بعد « بسم الله الرحمن الرحيم » وعلق عليها ما شاء له إبداعه ؛ ودقة احساسه في فهم معنى السورة .

ثم قارن بين جرأة محمد وجرأة عظماء البشر . ومثّل لجرأة محمد بجرأته على ملوك الارض الذين دعاهم دعوة جازمة : إما الاذعان وإما الحرب . ولم يكن له ردء في موقفه ولا نصير الا جرأته نفسها .

اما « ميرابو » و « لوثير » فان جرأتهما في مواقفهما التاريخية المشهورة كانت تستند الى حراب شعوبهم الراقبة الملتفة حولهما ، والمشجعة لهما .

وكذا جرأة ابي بكر وعمر في موقفي « البيعة » و « الردة » فانها لا تقاس بجرأة النبي (ص) في موقف الدعوة الى دينه وفي « عكاظ » منفرداً وحيداً ، يهتف بمن حوله من رجالات العرب الناظرين اليه شزراً: أبطال واشراف . شعراء وتجار وفتّاك ودهاة — « ايها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا وتنجحوا » .

نداء بسيط في لفظه وفحواه، وبنه وجزمه. اهمل فيه محمد الخوض في « ابحاث وسخريات ابحاث ».

جرأة محمد في ندائه هذا يكبرها الجريء بولس الرسول وموقفه في هيكل « آريوس باغوس » الوثني – كما يكبرها الذين درسوا اسرار النفس البشرية فلم يجدوا مثلها في نداء دعاة اليهودية ولا النصرانية ولا الجاهلية الوثنية : ذلك النداء الذي لم تهمل فيه هـــذه الفرق « ابحاثاً وسخريات ابحاث ».

« لا يجرؤ احد في عصرنا النوراني !...هذا مهما علا كعبه في العلم والمعرفة ان يكذب اثنين او ثلاثة، اجمعوا على عقيدة باطلة. او رأي قائل.

اما محمد فيجرؤ في ذلك العصر المظلم، والمحيط الجاف القاسي على ان يكذب أمم الارض رغم ضجيجها. وضجيج عمه « ابو لهب » معهـا. حتى كانت له الغلبة في اسكات هذا الضجيج الساخط ».

وعدّ المؤلف من معجزات محمد (ص) عدله وانصافه من نفسه، ذلك العدل الذي كان يستوحيه من ربه في صلاته واعتكافه ودعائه.

« اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ....

اللهم اغفر لي جدّي وهزلي ...

اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرت ...

اللهم اصلح لي ديني ودنياي ...

حتى اذا أحس محمد (ص) وهو يدعو بنقاء سريرته وطهارة ضميره خرّ ساجداً وقال :

سمع الله لمن حمده، اللهمّ لك الحمد ملء السماوات وملء الارض...

فمن هذه المعجزة، معجزة الانصاف غير صاحب المعجزات «السوبرمن السامي العالمي محمد بن عبدالله» .

ثم ذكر المؤلف من شواهد انصافه وعدله مقاضاة الاعرابي الجلف له ثمن بعيره ، ومقاضاة اليهودي السمج ثمن درعه . وقد قال له اليهودي: «انكم قوم مطل يا بني عبد المطلب» فهمت الصحابة بالبطش بهما فقال لهم الرسول عن الاعرابي :

« دعوه فان لصاحب الحق مقالا » .

وقال لعمر عن اليهودي وقد كاد يبطش به :

« مه يا عمر ، كنت أحوج الى ان تأمرني بالوفاء وكان احوج ان تأمره بحسن المقاضاة » .

وذكر خبر « عكاشة » الذي قال للنبي (ص) انه كان ضربه بالسوط على كتفه وانه الان يريد الانتصاف منه . وقد نسي النبي حادثة الضرب لكنه مع هذا عرى عن ظهره وقال : لعكاشة اقتص مني كما فعلت بك . فلم يفعل وانما أكب على تقبيل شامة كبيرة ناتئة بين كتفي النبي (ص) هي سمة النبوة وشارتها المقدسة .

وعلق المصنف على هذه الاقوال والافعال الصادرة عن النبي ما شاء وشاء قلمه الساحر من بديع الاساليب .

اما عفو النبي (ص) وصفحه فقد ضرب له المؤلف الفاضل مثلاً عفوه عن اهل مكة الذين اخرجوه من مسقط رأسه، ومسرح طفولته . وكانوا قبل ذلك حكموا عليه وعلى صحابته بالسجن في «الشعب» ثلاث سنوات فمكثوا فيه جياعاً حتى اكلوا ورق الشجر . ثم فتح النبي مكة وابطاله

حوله شاهري السيوف ، عابسي الوجوه ، متحفزين للانتقام. واهل مكة الذين آذوه وقوف مطرقين، خاشعين، خائفين

فلم يكن منه في ذلك الموقف ما يكون عادة من الجبابرة الفاتحين

اين زعماء المعارضة ؟ اقتلوهم .

اين ارباب الدسائس ؟ اسجنوهم .

اين الاموال ؟ احتجنوها .

اين الجميلات ؟ قينوها [1] وزينوها .

لم يكن من محمد ما كان من «برنوس» القائد الغالي الذي قال لأهل روما وقد شكوا اليه التلاعب بالميزان الذي كانت توزن به الغرامة الحربية «ويل للمغلوبين» ثم القى «برنوس» سيفه الثقيل في الميزان فشالت كفة الغرامة وبذلك تضاعفت اموالها .

لم يكن من محمد بعد فتح مكة شيء من هذا ولا مما فعله نابليون بعد ان تغلب على «بولونيا» وطلب من اهلها عدا عن الغرامة الحربية غرامة غرامية هي اشرف سيدة في «بولونيا» تكون له خليلة ليساعد وطنها على الاستقلال .

لم يكن من محمد شيء من هذا ولا ذاك وانما كان همه الوحيد بعد ان غلب وقهر ان يعلن حقوق الانسان ووحدة اجناس البشر فنادى :

يا ايها الناس، انا خلقناكم من ذكر وانثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

يا ايها الناس ، انكم من آدم وآدم من تراب .

ثم عفا عن اهل مكة لا بقوله قد عفوت ، لان كلمة « العفو » تشعر

(١) التقيين ان تقين « اي تزين » القيان « اي المشط والمغنيات » العروس

بالذنب بل بقوله لهم : « اذهبوا فانتم الطلقاء » اي الاحرار .

**

ثق ايها القارىء الكريم أنني وصلت من تصفح كراريس الكتاب الى هنا فلم تعد اعصابي تقوى على الكتابة ، وساعدتها الدموع فذرفت ، وكلمات الشكر للمصنف فترددت في فمي وتلجلجت ، وقلت :

ها هي دعوة جديدة للوحدة القومية قد هبت واعلنت ...

دمشق في ٨ كانون الاول سنة ١٩٣٥

المغربي

المقدمة المسيحية

بقلم الاستاذ الفقيه امين بك نخله

نائب جبل لبنان في الندوة التشريعية اللبنانية

ان الاستاذ نخله يتصل نسبه الثابت الى نسب آل بيت الرسول العربي العظيم بدم جده الكبير الشيخ نخله الهاشم من مشايخ العاقورا الذين نزحوا من الجزيرة الى جبل لبنان ، ولقد تمنينا على الاستاذ نخله ان يكتب هو المقدمة المسيحية في كتابنا لعلمنا انه من اولى كتابنا بتمثيل الطبقة المثقفة العالية من مسيحيي الامة وبتمثيل روح العائلات اللبنانية القديمة منهم . وسوف لا يعجب القراء طبعاً من تلك الاحساسات العربية التي تتفجر من قلم الاستاذ نخله فهي قطرات هاشمية النسب، ونفحات قرشية الحسب، قال الاستاذ النائب والشاعر :

« محمد » نغمة ، لا كلمة — لفرط ما مسحت على شفاه الخلائق ! — تأخذ بالسمع ، قبل الاخذ بالذهن ، وتفيد خفة الحروف ، وحلاوة اللفظات قبل ان تفيد العلاقة بالله ! وليس على بسيط الارض عربي لا ينفتح لها صدره، ولا ترجّ جوانب نفسه. فمن لم تأخذه بالاسلام ، اخذته بالعروبة ، ومن لم تأخذه بالعروبة ، اخذته بالعربية !!

وفي هوى محمد — ولا حرج في التمسك بالقومية ، والكلف باللغة ، كما لا حرج في الدين ... — تتلاقى ملتا العرب : ملة « القرآن » ، وملة « الانجيل » ؛ حتى كأنما الاسلام اسلامان : واحد بالديانة ، وواحد

لقومية واللغة . او كأنما العرب مسلمون جميعاً – حين يكون الاسلام هكذا : هوى بمحمد ، وتمسكاً بقوميته ، وكلفاً بلغته .

ومحمد ، لا تستطيع طائفة ، في العرب ، ان تنفرد بالتجاهي به . فهو ، فضلاً عن كونه للخلق كلهم ، حيث يتشبهون باكرم الآدميين في حفظ النفس ، وحفظ الجار ، وحفظ الله ، لبالأجدر ان يكون للعرب كلهم ، حيث نتشبه – فوق ذلك – بابلغنا في الفصحى ، وانهضنا في الجلى ، يوم حط الكفة بعرب ، وشيلانها باعجام !

وان لغير المسلم ، في ارض العرب ، ان لا يدين بدين «ابن عبد الله» وان يخلب لبه ، مثلا ، كتاب « لابن مريم » كل حرف منه يقطر رفقا ، وصليب قعدت به دنيا ، وقامت دنيا . واما ان يكون فينا عربي ، من لحمنا ومن دمنا ، ثم يغدو لا يمت الى محمد بعصبية ، ولا الى لغة محمد ، وقومية محمد ، فهو ضيف ثقيل علينا ، غريب الوجه بين بيوتنا ...

ولقد جعل محمد هذه الدنيا عربية بحتا ! فاستنزل كتاب « الرسالة» بلغة قومنا ، وحاط ديانتهم بها ، بل اتى ببرهانه منها – يوم زف هذا المعجز المخلد بين الحلق والحنك – ثم ادار «الحديث» فمسح – على الاخلاق ، وكرائم العادات ، في مختلف اطوار المعايشة ، حتى في الملبس والمطعم – بلون عربي ، لا غبار اجنبي عليه .

وان حظ اللغة – بل حظ القومية – من ديانة محمد ، لم يقف عند هذا القدر الوافر ، بل تجاوزه الى قدر اوفر ، فاذا لسان قومنا يصل بين الحياة الدنيا والاخرى ، واذا هو لغة السعداء ، في ضجة النعيم . « فالعربية لغة اهل الجنة » ...

ذلك ، والجنة الموعودة ، نفسها ، لم تبسط في « الكتاب » ولا في

«الحديث» ، الا على هوى العرب ، وتنظر خواطرهم ، وتلهف اكبادهم ففيها الشجر ، والانهار، والقطوف الدواني، والارائك الخضر، لا شمس ولا زمهرير ؛ بل صحو دائم ، ونعيم ، وملك كبير ... والى آخر ذلك اللوح الرضواني الممتع .

فجعل محمد الدنيا لقومية العرب ؛ وجعل الاخرى للغتهم. ثم خاف ان ينشطر القوم ، من وراء الرسالة ، الى فريق مؤمن بها ، وفريق مؤمن بغيرها ، فجمع بـ « من أحبّ العرب فقد أحبني » حيث المخافة من الفرقة ولمّ حيث المخافة من الشتات ! كأنما الشرط ، عنده ، الحب للعرب ، والحدب عليهم ، والأخذ بنصرتهم ، لا الدخول في دينهم ! فاعجب لرسول ، همه في الارض امر الله ، وجرّ الخلائق اليه ، من كل جنس ، كيف يعني هذا العناء ، من اجل قوميته ، ويبث هذا البث !

وها ان اقوامنا العرب ، في الآفاق ، كلما اطلق المؤذن صوته،بين السماء والارض ، عند تحرك الصبح ، في العتمة ، او تنقل الشمس ، بين مبزغها ومغربانها ، أحسوا في تلك الصيحة ، فان « شيئاً » من قوميتهم يحلق في الجواء ، ويمعن في المسير ، من فج الى فج ... واستشعروا كبرياء العصبية لديانة من عندهم تدقّ بشائرها بلغتهم ، ويكبّر بها على اسم صاحبهم ويدخل فيها من باب تاريخهم !

روى لي واحد، من الذين صرفوا طويلاً في «باريس» وهو مسيحي من عندنا ، من « الجبل » ، درس الطب هنالك ، وتملأ من لغة الجماعة ، ومن تاريخهم ، وطرائق الاخذ والعطاء ، عنـــدهم ، في كل دقيقة من دقائق المخالطة ، اكثر بكثير مما يعرف من اشيائنا ـ قال ، انه فيما هو يسير مرة في شارع « كاتر فارج » ، على مقربة من « جامع باريس » بعيد الخاطر عن هذه الارض اللبنانية ، اذا تكبيرة تنطلق من المأذنة ،

وتتعالى على الجلبة الباريسية . فأخذ صاحبنا ببغتة حلوة، ملأت فؤاده .
قال : « وما تمالكت ان حولت طريقي ، وغشيت باحة المسجد، حيث
قضيت بعض الساعة ، بين هاتيك القباب والقناطر ، وكأني في سربي ،
في لبـــنان انظر الى منازلهم ، واصغي الى احاديثهم ، وبيني وبينهم
سماوات ومفازات » .

هكذا جمع محمد ، اليه ، بفضل العربية في رسالته، والعروبة في نعرته
هذه القلوب العربية من كل ديانة ، حتى ليلقى صديقنا ، ذاك ، تحت
مأذنة الجـامع في دار الغربة — وهو ابن المسيحية ، كما رأيت — ما لا
يجده تحت قبة الكنيسة !! ذلك حيث ان اللغة فوق الدين ، والعصبية
القومية فوق العصبية الطائفية ، في باب الميول ، وترك الطبع على عنانه!

فمحمد اذن ، للعرب قاطبة ، في لغـة « الكتاب » و « الحديث »
ونعرة الجنس ، وشدة الحفيظة عن كرائم العنعنات ؛ وفي تاريخ لفتح
الممالك ، وفتح العقول ملألأ كرأد الضحى ، واخلاق عليها سلام الله !
اما المسلمون فليس لهم من زيادة علينا، حيث الانتفاع به، والاخذ عنه،
والتباهي بذكره ، الا الاســلام . وهي زيادة ، ترى المسيحيين من
العرب — اردت الاقحاح منهم في النسب ، والادب — يتلافون فقدانها
في « محمديتهم » ، فهم يستزيدون اكبادهم من هوى محمد ، ويستزيدون
السنتهم واقلامهم من النصرة لشأنه ، حتى ليكاد يتعادل النصيبان !

لذلك تتاوج ارض العرب اليوم ، بمجد واحد العرب ، وحبـه ،
وتتجاوب الاصداء فيه ، على رمل البيد ، ونبت الجبال ، وعلى كل
شاطىء وخليج ، من مطلع الشمس في الزرقة المشرقية ، الى محطتها
في الضحى ، عند حدود الصحو ... حب « لابن عبدالله » ، سواء فيـه

ابيض واسود، ومقيم وراحل، ومسلم ونصراني، واعتزاز «بابن عبدالله» وهز اعطاف ، على الامم ، باسمه !

**

وبعد ، فبهذا الحب كله ، وهذا الاعتزاز كله ، يعج كتاب صديقنا الفيلسوف الجليل الاستاذ لبيب الرياشي ، الذي اقدمه الان بين يدي القراء . ويا نعم الحب الذي لم يبق للعرب غيره ، من يلملم القلوب على القومية ، فتحفظ لغتهم بلغته ، وتذكي نعرتهم الجنسية بنعرته؛ ويا نعم الاعتزاز به !

ثم اني لا ادري ، أيصح ان أخص بكتابة هذه التمهيدة «المسيحية» في كتاب صديقنا الرياشي ، ام يخلق بي – ولساني « محمدي »، وهواي، وشق القصبة التي في يدي – ان أخص بكتابة اختها « المحمدية » !

ويا محمد ، يميناً بديني ، دين « ابن مريم » وبخشبات صليبه ، اننا في هذا الحي من العرب، نتطلع اليك من شبابيك البيعة ، فعقولنـــا في « الانجيل » وعيوننا في « القرآن » . . .

امين نخله

كشافة الكتاب الاول

لنتجرّد ... ولنتطهّر ...

لنتجرّد ولنتطهّر – ايها الانسي – من جذام التعصب ؛ وأثرة الجنسية . إن جذام الاول . واثرة الثانية – خلفتا لادمغتنا الوارثة ؛ ودمنا الجاري ؛ وعاداتنا المجمعية – ثروة ضخمة .

ثروة امتصصناها بالحليب . والمنشأ ؛ واجتررناها في البيت ، والقرية ، والمدرسة ، والمدينة ، والمطالعات ، والمباحثات .

ثروة عقارية ضخمة من الضلال ، والجهل ، والحقد .

وثروة نقدية لماعة ، من الاستكانة ، والاستعباد ، والذل ... لذا قلنا بالتجرد والتطهر .

... اننا اذا تجردنا وتطهرنا ودرسنا درساً بريئاً ، وبحثنا بحثاً دقيقاً جريئاً ، بعثنا الحق .

بعثنا الحق الذي حجبته تعاليم الاجيال ، وغلو تلك التعاليم وتقاليدها وتجاربها ، وسياستها ، واقتصادياتها ، وأثرتها ، ونقمة حقدها .

حجبته بقيادة ذوي المذاهب ، والمال ، والجاه ، والسلطان والمصلحة ، ومن ناصرهم من الخلق – نصراً الى رزقهم ، وموآزرة لمصلحتهم ، وتعصباً لئيماً لمذهبهم .

اذن نحن نقدم هذا الكتاب للمتجردين ، للمتطهرين .
وندرس في كتابنا الاول نفسية

نفسية محمد الرسول العربي مقتطفة من سيرة حياته التي اجمع عليها العرب ومعاصرو العرب من الامم ، والمتمشرقون من العلماء ، ونحلل تلك النفسية تحليلاً فلسفياً .

تحليلاً تجلله المقابلة والموازنة ، وتغمره أمثلة التجربة ، والاختبار ، والعبر .

وإننا لنضع تلك النفسية بعربيتها ، العربية الجسدية ، والعربية الروحية بجرأة ، نلقيها في كفة من كفتي قسطاس العلم . ونضع في الكفة الثانية اعمال عظماء العالم التاريخيين وشخصياتهم البشرية الفذة ، شخصياتهم كلهم ونقيم القارىء نفسه ، ام السامع ذاته ، حكماً على القسطاس .

عسى الحكم وقد تجرّد وقد تطهّر ، وقد محا من نفسه كل رأي سابق وكل عقدة بطالة تمسكت بدماغه ـ عسى الحكم وقد برىء من الاوبئة تلك ـ يكون منصفاً عادلاً .

ان العدل حبيب النفس النبيلة ، والله العظيم .

اعتراف

قبل التحليل وقبل الدرس

الاعتراف

ما ندمت على شيء في حياتي – ندماً عصبياً ساحقاً – مثل ندمي على جهلي نفسية الرسول العربي ، والامام الاعظم العالمي

محمد بن عبدالله

في ايامي الماضيات ، وسنواتي الغابرات .

اما لو درست تلكم الحياة ، وهاتيكم النفسية ، وتفهمت جوهرها ، واستنرت بنورها ، منذ ربع قرن ، للامست الحق معشوق عقلي ، ودمي ، وعصبي ، وأمنية نوالي ، ونائلة اية ذرة من ذرات جسمي ، واية لمثة من لمثات نفسي . منذ ربع قرن ، فبعث الحق في شخصيتي الجسمية والنفسية والفكرية ، قوة كونية عظيمة ، مجيدة جليلة ، رصينة ، حكيمة من هدي الرسول العربي العالمي ، ومن نور عقله ، وحكمته ، وادبه ، وفراسته ، وجلده وحريته ، وصدق عهوده ، وصراحته ، وصبره ، ووداعته ، وغفرانه ، واناته ، وانصافه ، ومن دقة ادراكه الشاعرة الحساسة ، ورجولته الرصينة المنفذة ، ومن سموه الشامل .

من سموه الشامل ، في اي موقف من مواقف حياته ، واي عمل من اعماله . ولكنت ، اذ ذاك ، رجلاً غير هذا الرجل ... ومفكراً غير هذا المفكر ...

**

وانه ليدهشني روعة الدهشة ، ان يكون بين العلمـــاء العالميين ، والفلاسفة الاجتماعيين من درس الرسول وتفهمه ولامس رفاعته، وطهره في حياته، وفي شريعته، وفي اعماله،وفي طبائع الكون المجسمة في الانسان والماثلة في تحليله .

رفاعته التي عظم بها اي بشري ، اي انسي .

رفاعته التي اكرم وحفظ بهـا ، حق اي سائر على قدمين من بني البشر ، مهما صغر ذلك السائر على قدميه .

حقه من العظمة الكونية . وحقه من المجد العالمي والاخروي،بالتقرب شخصياً من اعظم قوة واعظم سلطان كوني ، من الله رب الاكوان الرحمن الرحيم .

بالتقرب اليه دون ما وسيط او شفيع،غير التقوى والعمل الصالح..

وان تكون المساواة في شريعته – وثيقة نافذة الذمـة ، مأمونة ، موثوقة لم تترك فرقاً بين أنسي وأنسي . وبين عربي صميم العروبة ، وان انتسب في عروبته للرسول وعائلته وآل بيته ، وعجمي ... وان ابتعد عنه في نسبه وجنسيته ولونه « يا فاطمة بنت محمد اعملي ان اباك لا يغني عنك من الله من شيء »...و « الانسان اخو الانسان أحب ام كره »

ان الرسول في سنته وشريعته لم يترك فرقاً امام الشرع العـــالمي والالهي بين الانسان والانسان في تقرب ايهما للحق ، للاله الاعظم، غير فضائل الانسان نفسها وادب الانسان وصدقه واخلاصه ان عربياً قريباً نسيباً ، كان ذلك الانسان . وان عجمياً بعيداً كان: « ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، والخلق كلهم عيال الله ...»...« لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

انه ليدهشني ان يعلموا كل ذلك ويظل بينهم من يخاصم ويجرح .

انه ليدهشني ، روعة الدهشة ، ان يكون المفكرون اللامسلمون قد درسوا ، واستبطنوا ، وسبروا الجوهر ، وشهدوا الافق اللامتناهي الذي اطلق الرسول به هـذا الانسان فساوى - بشرعه وسنته بين الامير السيد الحاكم الجبار ، والعامل الصعلوك ، وحرر المستعبدين من رقّ العبودية الروحيـــة والجسمية والادبية حتى من رقهم للملوك والاباطرة والرسل والاقوياء جميعهم . وان يكون ، شخصه ، ذات شخصه ، القدوة الرفيعة في ذلك الاطلاق ، وذياك التحرر فيساوي نفسه — وهو البشير ، النذير ، الرسول ، النبيل السلالة ، الكوني العقلية — بالاسود بلال الذي حرره .

بالاسود الرقيق ، المحرّر الذي ساواه بنفسه ، واوقفـه فوق سطح الكعبة المقدسة مؤذناً ينادي المؤمنين — للصلاة ومن المؤمنين الذين ينادون — صحابته ، وأخصاؤه واهله ، وعشيرته ، واشراف مكة — محجة العرب والتجار العالميين .

أبلال الرقيق الاسود المحرر يناديهم للصلاة وعبادة الله والهدى؟؟.

أبلال الرقيق الاسود المحرر ينتصب فوق ارفع مكان، فوق الكعبة - بأمر الرسول -ينتصب فوق الكعبة، فوق اقدس مسجد تجله العرب، لينادي اشراف العرب ، ودهماء العرب ، وعلماء العرب ، وفرسان العرب ، وشعراء العرب والحجاج العالميين ، للصـــلاة ومعرفة الحق ، واتباع الحق ، اطاعة لامر الرسول الكيس اللبق . « ارحنا يا بلال » .

* *

انه ليدهشني غاية الدهشة ، ان يكون كل ذلك قد وقع ، وحقق وقوعه ، وعرف وخبر ، وظهر نورانياً ، ظهور النجوم في الليل المظلم ، الصافي الاديم ،وظهور الشمس الوضاءة النور. واستنشق عطره استنشاق

عطر الورود في الربيع الزاهر . وان يظــل بين مؤرخي التاريخ ، وخصوم الاسلام ، من يقول ان الاسلام يأمر بالرق ، والرسول العربي يقول بالعبودية .

**

وانه ليدهشني ، روعة الدهشة ، ان يكتب في نابوليون مايتا الف مجلد ، وما مرّ على تاريخ وجوده غير مئة سنة وسنوات ، وان لا يكتب عن الرسول العربي العالمي غير مئات المجلدات التي تقف دون الالف وتكاد تكون نسخة طبق الاصل ... بعد ان مرّ على ظهور الرسول العربي الف وثلاثمئة وخمسين سنة ، وخمس سنوات . وبعد ان بدل الرسول التاريخ البشري ، والشرائع البشرية ، وحوّل مجرى الانسانية ، وكوّن سرائر انسية جديدة ، غير السرائر الانسية القديمة...

اما لو ادرك المسلمون سيرة الرسول بجوهرها ، وشرع الرسول بسنائه ، وحكم الرسول بجلالها ، وابداع الضمائر الجديدة التي ابتدعها الرسول بجدتها الوضاءة ، وعملوا بما ادركوا ، لكان المسلمون غير هؤلاء المسلمين ولكان العالم غير هذا العالم .

اما لو درس عشاق الرسل ، وعشاق العظماء ، والحكماء والمبدعين ، غير العرب ، بطهارة وجدان ومعرفة ، وبراءة سريرة ، وتحليل عبقري ، حياة الرسول العربي وسمو الرسول العربي ، وبراءة سريرته ، واعماله وشرعه لاستكشفوا ، اعظم شخصية ، واقدس رسالة للتاريخ الانساني ، تسعد بسيرتها اذا اقتدي بها ، وعمل باشتراعها ، واستنير بحقيقة سنتها ، تسعد الانسانية ، وتحفظ حقوق اي كائن ناطق من ابناء الانسانية كما تصون حريته ورزقه وغبطته .

اما لو فعلوا تلك الفعلة النبيلة وقدموا الزكاة والصدقة والكفارة وانصفوا ، كما أمر ، لوفروا عليهم ثورات العمال المستمرة ، وبدع البولشفيك ، وسواهم وسفك دماء خصوم هذه البدع ، ولوفروا الاضطرابات الشخصية النفسية العالمية ، والثورات العائلية والحكومية ، والتطاحن الجنسي والاقليمي ، والفتح الاستعماري ، والاحتلالي ، والانتدابي . ولاقتبسوا شرعاً يتفق مع اي عصر ، وينصف اي بشري ، في اية امة ، وفي اي اقليم ... في اي زمان ، واي مكان .

**

اما بعد ، فلا نكران اني طالعت مئات المجلدات ، وقرأت حياة الوف العظماء والرسل ولكن مئات المجلدات ، وحياة الوف العظماء والرسل ، ما فعلت بنفسي وأثرت في دماغي ، وهذبت وثقفت وادهشت مثلما فعلت حياة الرسول العربي العالمي :

محمد بن عبدالله

ومثل ما فعل تفهمي حياته وكونية تكوينه ... لاني ما قرأت عن شخصية عرفت نفسها وعرفتها للموهوبين البررة المحللين مثل تلك النفسية . ومن غرائب الاتفاق ان يكون الفضل الاكبر في تفهمي ودرسي لخصوم الرسول انفسهم ، او لمن جهلوا حياته وعظمته فاعتزلوا البحث ، واهملوا الدرس .

ألا يعجب المطالع من ذلك ؟ ..

انه ورب الكون ليعجب ، وان عجبه ليذوب اذا تابع دراسةهذا الاعتراف وأدرك كيف كان الفضل لخصوم الرسول انفسهم .

**

منذ ثلاث سنوات ونصف سنة ، كنت اطالع في بعلبك مؤلفاًباللغة

الفرنسوية في الفلسفة لمؤلف فرنسوي هو عضو من اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي .

درس المؤلف في مؤلفه فلسفة الفلاسفة العالميين التاريخيين والكونيين ومذاهبهم الاجتماعية وفلسفة الاديان ورسلها وروحانية الرسل وادابهم ولم يذكر الرسول العربي والدين الاسلامي .

لم يقل أن لمحمد ، فلسفة ... لم يقل ان الدين الاسلامي حكمة .
انه لم يذكر الرسول ولم يذكر الاسلام .

أحسست اذ ذاك بنعرة علمية ، ووثبة عربية يحس بها كل مفكر عربي حساس ، تنفث انسانيته وعروبته ، وتظهر شعوره العـالمي ، وانصافه الفكري ، وثقافته الشاملة .

ولما كانت مطالعاتي كلها في هدأة الليل ، فاني قضيت الليل في مطالعة «القرآن» وتفهمه وظللت اطالع حتى ظهرت الشمس على مئات الامتار مني .

والشمس تظهر في بعلبك على مئات الامتار من المتأمل المنتصر ...

لا يظن قارئي اني طالعت في ساعات الليل « القرآن » من الدفة الى الدفة ، اني لم اقرأ سوى سورتين .
سورتين فحسب ، وهل يقرأ الباحث المحلل المفكر العظيم ، لرسول كمحمد اكثر من صفحات في شهر ام سنة ويتفهم تفهماً صحيحاً ما قرأ .
اذا كان جواب القارىء الباحث انه يقرأ ويتفهم ويدرك ، ففي جوابه غلو وادعاء وفحش في التضليل .

**

بعد اسبوع سرت قبل الغروب بساعة وعبدالحليم بك الحجار حاكم بعلبك الى قرية « ايعات » .

سمعت في تلك القرية وقد حان الغروب صوت المؤذن واذانه...

في عودتنا الى بعلبك شرحت للحاكم الصديق ما احسست به وحللت ما سمعت من الشهادة والاذان.

طرب الحاكم الشاعر لتحليلي وبياني وبحث ودقق في البحث وختم بحثه قائلاً:

لماذا لا تكتب لنا فلسفة الدين الاسلامي ؟؟.

قلت بذلك افكر ...

... ومرت الاسابيع والشهور والسنوات وسؤال عبد الحليم لا يزال ماثلاً في ذهني حتى اذا كان شهر اذار من هذه السنة ١٩٣٥ احسست بهاتف سريري يأمرني بالكتابة والبحث والتحليل.

**

كتبت فصولاً ثلاثة عن فلسفة الرسول. ووقفت محترماً متهيباً لاني ادركت ان اعظم العلماء المسلمين بحثوا، وحللوا، وكتبوا، واكبر علماء الغرب المستشرقين درسوا وألفوا.

– لذا – احترمت وتهيبت.

ارتأيت ان القي على مسمع طائفة من العلماء ما كتبت.

اجل، ارتأيت ان القي على مسمع طائفة من العلماء الذين أثق بذكائهم ودقة فكرهم، وطهر وجدانهم، وادب بحثهم، وسلامة اخلاصهم.

أسمعت الفيلسوف التركي – المقيم في جونيه – الدكتور رضا توفيق المجاني الثلاثة، كما أسمعتها لافراد من علماء الدين الاسلامي المفكرين المنصفين في بيروت، وكما قرأتها لمفكري المسلمين والمثقفين ثقافة عربية

وغربية فلما رأيت من أيهم تشجيعاً، واستكباراً، واعجاباً، اقدمت...

اجل، اقدمت، ولكني اقدمت وفي داخل شعوري هاتف ينادي
- انك لم تدرك يا هذا من نفسية الرسول العربي العالمي، ومن دينه واسرار سيرته، واحاديثه، وشرعه ورفاعة اخلاقه، غير اشعة.

غير أشعة فحسب.

تلك الأشعة التي ادركت هي زادي، وهي غذاء قواي الروحية والدموية والعصبية، في مؤلفي هذا، وفي مؤلفاتي اللاحقة.

اذن، بتلك الأشعة استنير، وبنورها اسير، وبلمعانها وهديها اباحث اي علماء الدين والاجتماع والفلسفة من مؤلفي حياة الرسول، ومن عشاقه، ومن خصومه.

اباحثهم، في ادراكهم وانتقد؛ ان اخطأوا، وأعظمهم في صواب معارفهم وجمال بيانهم، واكبر معارفهم، ان اصابوا...

الأمي الحكيم والمشترع والقائد و ...

أعرفت أنسياً حمل على منكبيه آثام قومه ، فطهّرهم من آثامهم ، وحمل في دماغه كل ما اراده الفيلسوف اليوناني الاكبر الفيلسوف سقراط الذي تبنى حكمة هيكل مصري . حكمة تقول : « اعرف نفسك » فعرف نفسه ، وما في نفسه ، من عزيمة ماضية ، وزكن سماوي ، وكبر متواضع ، ومجد رؤوف حكيم ، ورجولة جليلة ، وجـلد في ابلاغ رسالة حق .

جلد ضاقت عن مثله نفوس مئات فاجتمع في نفس واحدة لا متناهية - افقها - كالفضاء السماوي اللامتناهي . وحمل في ذاتية دماغه فوق معرفة النفس التي ارادها اليوناني الحكيم من مجموع فكرته في لفظته - رسالة .

رسالة نورانية هي ملء الادب ، وملء العلم ، وملء الانصاف ، وملء الحكمة وكل الحق .

رسالة استنزلها من اجواء الفضاء وسدرة السماء الى الانسان خلاصة المكونات وارقاها .

**

أعرفت رجلا امياً ، وقاضياً عادلاً .

أمياً يجمع علم التكوين البشري بعبارة هي كل نشوء الانسان الكوني وارتقائه .

امياً ، جباراً في تنفيذ ارادة الله ، عفواً وديعاً في مسامحة المسيئين اليه.

امياً ، عاملاً عادياً كهؤلاء العمال الذين يحملون اثقالاً على ظهورهم . وفي ذات الوقت إماماً سيداً ينذر عظماء الرجال ، وجبابرة الملوك ، ويحترم انذاره .

امياً ، وعالماً نفسياً بليغاً .

امياً ، وطبيباً .

امياً ، وقائداً .

امياً ، ومشترعاً ومخلصاً .

امياً ، وفيلسوفاً .

اذا كنت لم تعرف ذلك لانك لم تدرسه او لم تفهمه ، او لانك لم تتجرد من تقاليد محيطك ، وشرائعه ، وزاد ماضيك وادامه ، ونسيج انتسابك الطائفي او الاقليمي او الوطني او الجنسي فادرس وتفهّم .

تجرّد ، وان ساعات ، من جرائيم ماضيك ، ان شئت المعرفة .

ادرس وتفهّم على شريطة ان تتطهر في بوتقة الانصاف والعلم ، ان كانت الحقيقة مطلبك الاسمى ، وامنيتك القصوى .

تجرّد وتتطهّر ، تقابل « السوبرمن » الاول العالمي .

وتصافح يدك النقية ، يد الرسول الامين .

محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم

واذ ذاك تعجب به « انت » كما اعجبت به « انا » لانك تعجب بالمعرفة والحق ، والابداع والجمال ، وتحبه « انت » كما احببته « انا ».

لانك تحب الفكر والعظمة ، والوداعة ، والامانة ، والحنان والانصاف ، وطهر الاخلاص .

وعندما تعجب به وتحبه ، تتمثله وتتصيّره ، وهل كانت رسالة « السوبرمن » الاول العالمي غير هذه الرسالة ، هل كانت امنيته الاولى غير امنية التمثيل والتصيّر .

نفسية السوبرمن الاول العالمي

واتباع «السوبرمن» الاول العالمي

عرية نفسية كاملة .
وعرية جسمية تامة .

لم تتعرف البشرية ، الى عظيم ، عاشره قومه وجالسوه ، وآكلوه وحادثوه ، وباحثوه في عمله اليومي ، وفي معيشته العائلية ، في منزله ، وفي مجتمعه ، منفرداً ومختلطاً ، وشاهدوه في خلق ثيـابه وجدتها ، في شكل خلقـه ، وحركة بيئته . في صورة طلعته ، وتأثير فراسته ، في سمنه وهزاله ، في طوله وقصره ، في بصره وسمعه ، في شمه ولمسه ، في صلابته وملاسته، في قسوته ووداعته، في نباهته واسترخائه، في عزته وذلته، في نومه وسهره ، في جوعه وشبعه ، وعطشه وريه ، في سروره وحزنه، في صبره وجزعه ، في شوقه ونشاطه ، في رضاه وغضبه وندمه ، في صلاته ورياضتها ، في صومه ووداعته ، في خلوته وخيالاتها ووحيها ، في سلامه وحربه، في اعتلاله وصحته ، في قروحه واخرجته واورامه وجراحاته ، في احتضاره وموته .

لم تتعرف البشرية الى عظيم وتشاهد اماماً في كل اطواره الفطرية ، وحواسه ، وافعالها ، وملكاته وحركات نفسه وانفعالاتها مثل تعرّف اتبـاع السوبرمن الاول العالمي محمد بن عبدالله ، الى السوبرمن الاول العالمي محمد بن عبدالله .

ولم يقرأ الناس عن موهوب عراه اتباعه واصحابه وخصومه من كل دهان مزخرف وخلق ميمون الا وساووا وزنهم بوزنه ، وعقولهم بعقله ، ومواهبهم بمواهبه .

لم يتعرف البشر الى رجل مهما بلغت عظمته بعبقريته الا وساووا نفوسهم به ، وفاضلوه ما سوى «السوبرمن» الاول محمد بن عبدالله الهاشمي .

* *

يقول العلماء الطبيعيون عندما شاء موسى بفكرته الثاقبة ، وادراكه الجامع ان يدهش الاسرائيليين بعظمة الله ويسكب احترامه وجلاله في بوتقة عقولهم وقالب نفوسهم .

عندما شاء ان يدهشهم بمجد الله الذي يفتقد ذنوب الآباء في البنين الى الجيل الرابع !.. وينتقم من مخالفيه في انعامهم واجسامهم !.. قال قولته : ان الله تجلى له على الطور محتجباً بغمامة .

لقد خشي موسى تلميذ كهان المصريين – برأي العلماء الماديين – من عقلية الشعب .

لقد خشي على رهبة واحد الآحاد ، الله الاعظم ، ان تزول من نفوسهم اذا تعرفوا اليه ، وعلموا فراسته .

لقد خشي ان يصف صورة المنعم ، وخشي ان يصف شكل الخالق لئلا يقول الاسرائيليون ان الخالق مثلهم فيستخفون بمثيلهم ويسمون سمته كما يم البابليون وتحدوا بيوجهم ، لذا انكر مشاهدته وقال ان الله تجلى له من وراء العليقة محتجباً بغمامة .

قال انه سمع صوته ولم يره .

لما تقدم اجمع علماء النفس على ان العظيم يظل عظيماً مبجلاً، وكبيراً مقدساً ، اذا ظل وراء الحجاب وخلف الستار ، اما اذا شوهد ونُظر وعُرف وسوجل وبوحث فان عظمته تترهل ، واحـــترامه يذوب ، وهيبته تهوي هابطة عن عرشها .

اما كيف ظل السوبرمن الاول العالمي محمد بن عبدالله عظيمـاً في نفوس اتباعه ودارسي حياته ومعاشريه ومواكليه ومحاربيه ومضطهديه ومعظم اتباعه في عهده ، والمعجبين به ، والمؤمنين برسالته بعد عهده .

واي من ذلك المعظم من كبار المفكرين ، وابطال القواد الاجلاء المتشرعين ، وصفوة الادباء وسادة الشعراء .

اما كيف ظل عشاق فضائله يزدادون اليوم بعد الآخر .

اما كيف تملك مكمن الاعجاب في عقولهم ، واستسلموا اليه بثقة قلوبهم ، وأحبوه حباً بريئاً متدافعاً ولا اقول أحبوه حتى العبادة لانه منع عبادة اي الناس واي الاشياء مـــا سوى الله واحد الآحاد رب العالمين الرحمن الرحيم .

اما كيف ظل عظيماً رغم تعرّف صحابته وكتّابه وخدمه وابناء جيله وجيشه وعيلته واولاده الى عريتيـه الكاملتين : العرية النفسية ، والعرية الجسمية فما لم يستقصه علماء النفس ، ولم يستبينوا نسيمه .

وفي هـــذا الاستقصاء ، وهاتيك الاستبانة سر العظمة التي جللت السوبرمن الاول العالمي

محمد بن عبدالله

اذن ، هذا الاستقصاء ، وهاتيك الاستبانة هما موضوع درسنا ، وهما مرصد بحثنا .

الطمع وامانيه – الطماح وآماله

ميزات اي انسان عظيم ورغباته ، هي غير ، ميزات ورغبات « السوبرمن » الاول ، رسول الفلسفة العربية العالمية .

محمد بن عبدالله

فكرة حازمة غيرت وجه التاريخ

من ميزات الانسان ، اي انسان ، الطمع والطماح .

وهل بين الناس جميعاً انسي تنقى دماغه من مطمع او تطهر من مطمح ؟..

هل بين الناس جميعاً مفكر لا يختلج في دماغه طماعة او طماحة ، وان بقدر حبة الخردل ؟..

اذن في بناء هيكل الانسان ، حجر منحوت او وحشي ، من جشع المطامع ، وجبلة كلس وجص ورمل وترابة ، من متانة الامل .

من تمنّ وامل بملكية شعور الناس ، ونيل اعجاب البشر ، والاستيلاء على عواطف حبهم ، ومتانة اراداتهم ، ومفاخر تمجيدهم ، وخلوص امالهم ، وممتلكات ايديهم وميولهم .

ومن ميزات هذا الانسان المنتصب القامة ، العريض الاظافر ، ان القوي منه ، يذوب حباً ويضطرم شهوانية في سبيل المجد ، والمال ،

والسلطان. ويحلم بالزعامة والقيادة ، ويرغب رغبة شرهة بالجميلات والملذات .

فهل كان باستطاعة ام بامكان، محمد بن عبدالله، ان ينال ما يستميت في سبيله اي انسان طماع؟..وان يصل الى ما يطمح اليه اي بشري طماح؟.

هل كان بامكانه ان يحقق حلمه ورغباته كبشري عظيم نابغ ويستملك ما يطمئن اليه فيستولي على شعور قومه ، واعجابهم ، وشوقهم ، وتغزل شعرائهم ، دون ان يحاول معجز المؤونة ؟.

هل كان بامكان ام باستطاعة ـ محمدبن عبدالله ـ ان ينال تلك المطامع والمطامح دون ان ينادي بالوحدانية، وينصب قسطاس العدل والانصاف والمساواة امام الشرع، بين البشر جميعاً، ويكوّن نفسه امثولته الاولى، وعبرته المقدمة ، موزوناً مع اي بشري صعلوك خاصمه بكفة من كفتي الميزان، فينصفه من نفسه ومن ثمة ينير الشعوب بالثقافة ، ويساوي العلم بالحياة نفسها ، فيفدي الاسرى المتعلمين بتعليمهم عشرة اميين [1] ويعلم الناس القوة والسلام معززين بالاسلام .

هل كان بامكانه ام باستطاعته ان يصل الى بغية اي عظيم دون ان يجهد بالمناداة، والتثقيف، والتعليم مع ما في تلك المناداة، وذاك التثقيف، وذياك التعليم من مناعة الدرك والارهاق، ومعاناة الصعد والازهاق ؟.

هل كان بامكانه ام باستطاعته ان يصل الى اماني نفسه كلها كانسان نبيه ، ذكي ، يقظ ، قوي ، صبور ، دون التبشير بتلك الرسالة وما يكافه التبشير من الاتهام بعقله ، واضطهاد جسمه ، واذلال نفسه ، ونفوس انصاره واجسامهم .

---

(١) بعد واقعة « بدر الكبرى » الانتصافية .

هل ... وهل ...

لقد اجاب التاريخ على السؤال الاول هكذا :

ان ـ محمداً ـ نال اعجاب قومه وملك شعور زعماء العرب، وعظماء الامة ، وميول قلوبهم يوم الحجر الاسود ، يوم اعلان الرسالة .

يوم ادعى كل زعيم وسيد من زعماء واسياد مكة ، حق الاولية ، وحق الاسبقية بمركزة الحجر الاسود وتأزيزه في بناء الكعبة في مكة ، والمسجد تجدد بناؤه .

يوم تراصد الزعماء وتناكروا في ايهم يحرز خطر السبق ، في ايهم تناط المزية الظاهرة .

يوم كاد حب الاثرة في هذا التراصد ، وهـذا التفاضل يفجر حرباً بينهم ويسيل دماء ، وييتم ابناء ، ويضحي آباء وابناء .

في هـذا الموقف الحساس ، كل الاحساس ، الرهيب كل الرهبة ، عرض ابو امية بن المغيرة احد زعمائهم التحكيم على الرؤساء المتزاحمين ، فارتضوا ، وارتضوا ان يكون اول من يدخل من باب الصفا هو ذلك الحكم ... وزادت طمأنتهم ، وتهللت وجوههم عندما شهدوا ان الداخل هو : المحمود المآثر ، والمأثور الخلال ، هو الحكيم ، هو محمد ، هو محمد الامين الذي تسلط على شعور كل منهم ، وادبه ، وحرمته ، وخلقه .

وهكذا قصوا عليه قصتهم وافضوا الى نقاء سريرته امرهم ...

تقدم الحكم بسذاجة الطفل وطهره ،وزكن القاضي وحكمته، وبراءة سريرته ، وشعور الابن البار الذي يعطف على حياة ابائه وعزة نفوسهم،

ويشفق على سفك دمائهم ، ويغتبط بالمحافظة على كرامتهم جميعاً ،وحفظ حياتهم كلهم .

تقدم لما بينهم ، والقى رداءه ووضع عليه الحجر الاسود ، وطلب من الرؤساء والاسياد ان يمسك كل رئيس سيد ، الرداء بطرف منه ، فلما فعلوا امرهم ، كذي سلطان ، ان يرفعوه ، فلما حاذى موضعه

« نقله بيديه ، وبناه في مكانه »

ثلجت نفوس اسياد مكة ، وقرّت نواظر الرؤساء ، وسري عنهم الحذر والخوف ،.وتدفقت الطمأنة الى صدورهم ، وشعر كل فرد منهم ان حكمة محمد الساذجة وأصالة رأيه ، حفظت كيانهم والفتهم ، وابقت الرؤوس على هامات رجالهم ، وعائلي صغارهم وعيالهم .

شعروا بعقله النضير ، وحكمته الخصبة ، وعطفه البنوي البـــار ، وجلال موقفه .

حكمة عملية ، مثلته فوقهم ، واجلسته في مقدمتهم ، والقت يده فوق ايديهم ، وسيادته فوق سيادتهم ، فكأنها اعلنت بصمت رهيب مبايعتهم لمحمد بالزعامة الاولى .

الزعامة الحكيمة الرؤوفة الجليلة .

**

ويجيب التاريخ بصراحة واخلاص على السؤال الثاني :

لما اعيت الحيل ، قريش ، اسياد مكة ، بمحمد ، ورأى عظماؤهـا واقيالها أن النابهين الاذكياء من العرب ، يسيرون وراءه ، ويؤمنون ايمانه ، ويأتمون بامامته ، وان زرعه يخصب ، ويزهر ،ويعطر وسيصبح

شجراً مثمراً ، وادواحا عالية مظللة ، وان معتقداتهم وشرائع آلهتهم وجميل اصنامهم ستبدل ... وستهدم ...

شرائع الهتهم ، الهتهم التي سادوا بفضلها ، وأثروا من تماثيلها ، وحجيج مقدسها ، وتزعموا برفادتها وسقايتها و ... نذوراتها... وجمعوا الثروة من تجارتها .

لما رأوا ، ورأوا قالوا ان الرجل اليتيم الأمي اثبت في ماضي حياته انه الكفوء ، وانه الرجل ، فلنسترضه ولنحمله ، على قبول القيادة الاولى على قبول الملكية . وهكذا عرضوا عليه الملكية وتاجها وصولجانها ، وللملكية زعامتها الاولى ، وقيادتها السائدة ، وجميلاتها ، وملذاتها ، واحترامها ، ومالها ، وثروتها الوافرة ، وجلالها الباهر .

عرضوا عليه الملكية ووسطوا له في هذا العرض ، شيخاً جليلاً ، محبوباً منه كل الحب ، محترماً كل الاحترام هو حاميه وكافله هو عمه ابو طالب « عبد مناف » هو عم بمثابة اب ..

ثلاث مرات عرضوا الملكية على ابن اخيه . اما العم فاستبهم ما عرضوا وتنكر له الموقف . على انه في المرة الثالثة سار الى ابن اخيه ، سار الى محمد ، وصارحه رغبات القوم ومتمنياتهم ، وارادتهم ... وختم عرضه قائلاً له بالم ودعة واستعطاف : « فابق عليَّ وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق » .

وهبط بين العم وابن الاخ سكون .

**

خشع محمد خشوع الشمس امام وجه الرب ، ورفرف بجناحي فكره وعاطفته رفرفة الاب الحكيم البار امام محاكمة « استخارة » هي اعظم محاكمة في التاريخ البشري ، يهابها التاريخ .

هي اعظم محاكمة للسريرة الانسانية تخشع امامها اية سريرة انسانية.
تبصر وتفكر وتصور واستعرض هكذا .
أمنية اي انسان جبار المطامع ، تنتهي عند العرش .

آمال اي بطل نابغ تستكفي بالزعامة الاولى والتاج، وللتاج موجات جميلاته وماله وبهرجته وزهوه ولمعـانه ومجده وغزواته وحروبه وفتوحاته ومسلوباته وغنائمه .

وتفصّد جبينه عرقاً ونفسه لا تزال تخاطب ذات نفسه .

أترفض رغبة القوم وأمنية الأسياد وزهو تلك الامنيـة ، لتثيرهم عليك فتضطهد وتهان .... استيقظ يا محمد ....

اذا رفضت بغضوك وناوأوك ونابذوك واستحالوا عليك وجذموا رحمك واغروا بك سفهاءهم وعبيدهم ليسبوك، وليرموا عراقيبك بالحجارة حتى تختضبن نعلاك بالدماء. ومن ثمة يسهموك باستصراخ التهم وسفه الهجاء

انتخب يا محمد بين عزة الامارة . وخدم الامارة . وصولة الملكية، ومجد الملكية وبين رسالة الرسول وجهود المتمرد على امـاني القوم وارادتهم وصولتهم ؟؟..

أمجد الملكية وخدمها وحشمها ، ام خدمـة نفسك لذات نفسك واستخدامك للاعراب من بني قومك ؟.

أترفض الملكية وجلالها وخدمها لتخدم جسدك وعقلك ، فتخصف نعلك بيديك . وترقع ثوبك ودلوك وتحلب شاتك ، وتغسـل ثيابك ، وتخدم مأموراً، فتحمل اللبن على ظهرك ؟.

اترفض الملكية ولذيذ اكلها وشهي ادامها لتتشهى الخبز الجاف مراراً

وتجوع تكراراً . تجوع حتى تربط الحجر على بطنك من شدة الجوع؟. اترفض الملكية وفراشها الوثير لتنام على فراش من ليف ام حصير من قش ؟.. قل يا محمد .

هنا أحس ان شعر رأسه قد وقف والرؤيا قد تجلت ، والعرق قد تصبب غزيراً من كل جارحة من جوارح جسمه و « المعجزة » التي تقول موسوعة « لاروس » الفرنسوية انها فوق طاقة البشر ابتدأت تلين بين يديه وتذعن كرها ام طوعا لنفسه وهي تخاطب ذات نفسه .

ان مطمح محمد الأمي راعي البهم ، وتاجر الاقمشة والتمر ، غير مطمح الجبار البشري ... ان غايته فوق غاية الانسان النابغ ... انها تسمو على هذه التمنيات وتسخر بهذه اللذاذات .

ان القوم لفي جهالة يا محمد . انهم يؤلهون مصنوعات ايديهم ، ومصنوعات البشر - ويعبدون ...

ان القوم لفي جهالة في شرائعهم الدينية والمدنية والطبيعية والاجتماعية في اخلاقهم ، في وزنهم ، في سكرهم ، في مقامراتهم ، في ظلمهم ، في وأدهم الفلذات من البنات ، في قتلهم الفتيان خشية الفقر ، في ازهاقهم نفوس مئات للأخذ بثأر فرد ، في اقتيادهم الضعفاء من بني قومهم بخزائم انوفهم . في تفرقتهم واذعانهم واستكانتهم للسلطانين القويين : السلطان الفارسي الكسرواني في اليمن والعراق من ناحية . والسلطان الروماني القيصري في الشام وجوارها من ناحية ... واستضعافهم واستذلالهم بالولاء والطاعة والجزية للسلطانين.. ان الناس عبيد عمال الاغيار يا محمد.

وبغتة حجب ذلك التقطيب التفكيري الباحث المحلل . ومثل محمد كأم رؤوم كاد العدو يخطف اشبالها واجاب عمه جازماً بتلك العبارة

التاريخية التي ترفع عند القائها ان يعيد ذكر العرش والملكية والتاج والصولجان التي عرضها زعماء مكة عليه ، واستكفى بقوله:

« يا عماه ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته » .

وبسرعة الفكر النوراني الكهربائي المتألم ، الشاعر الحساس انقلبت نفسه لتصورها العرب في شرائعهم الضالة وذلهم واذعانهم للسلطانين . ولذكر الله المنقذ .. المخلص ..

انقلبت للتصوّر والذكرى والانقاذ من العاصفة الثائرة الى النسيم البليل ، الدقيق الاحساس المتفجّر الالم ، فشهق .. وبكى ..

شهق وبكى فنقل الاثير العالمي شهقة رسول الله ، المنقذ الاعظم ، شهقة السوبرمن الاول العالمي ، الى الانسانية العالمية .

وتلقفت الشمس بافواه اشعتها النورانية ، واستقبل الهواء الكوني بعطوبات نسيم الصحراء دموع الرجل العالمي ، واستودعها صدر كل شاعر بطل عالمي ، في قلب الصحراء ، وجـد ، ام في قلوب المدن المتحضرة ، كان .

حينما كان البطل الحساس الشاعر يدرك قيمة تلك الدموع وكم حملت من الافكار الرقراقة السامية في جواهر نقطها اللامعة .

ويحس مسمعه ، قربت الاجيال اليه ام بعدت عنه ، بتأثيرات تلكم الشهقة وطهر تلكم الرسالة .

**

أعلمت ايها الفهيم المنصف ان محمداً لو كان كباقي البشر العظماء ،

لوصل الى جميع اماني العظماء . واستولى على كل مطامعهم وطماحهم دون ان يعرّض أعز الناس لديه، للحزن العميق والخوف الشديد. حزن وخوف عمه ومربيه ، ودون ان يعرّض جسده نفسه للتعذيب ، فيجرح في وجهه ، وتكسر رباعيته اليمنى ، وتهشم البيضة على رأسه . ويرمى بالحجارة فيسقط في حفرة [١] ودون ان يعرض نفسه للجوع والخدمة ..

ءأدركت ايها المتعمق في فكره وبحثه وعلمه ، أن في جواب محمد ، الجواب الصغير ؛ حكمة لو شُرحت وسُطرت في مجلد كبير ، لمفكر كبير لملأت ذلك المجلد الكبير .

ءأدركت انه في اشد المواقف حراجة في ساعة واستخارة ، فاصلة بين العظمة البشرية كلها التي تعرض عليه وبين الرسالة التي اختارها نفسه ام استخصه بها ربه لم يتدن لذكر تلك العظمة بلفظة بل سما عنها الى ارفع ما في العالم الشمسي التكويني ، الى الشمس والقمر .

أنه يعلم عجز قومه عن تملك قسم من الارض ومع ذلك صوّر قوتهم الكبرى اللامعقولة وأن بامكانهم تملك الارض والشمس والقمر وعرض الاخيرين بين يديه .

ولم يقل متغطرساً مزهواً حتى اظهره بنفسي . بل قال وهو يتكل على تأييد سماوي ووعد إلهي ، حتى يظهره الله ... كما انه لم يستفتح جوابه بكلمة ثق او تأكد يا عماه .

لان قوله كان ثقة دون ان يعززه بلفظه ثق او تأكد ...

اهتز وجود ابي طالب لموقف ابن اخيه وتجلّى له صدق رسالته ؛ ونبل غايته فاستودعه قائلاً بعطف وحزم :

---

(١) في واقعة احد – الانتصافية

« اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا أسلمك لشيء ابداً » .

هكذا تجلى موقف محمد من عمه وزعماء قريش وذلك هو جواب الحق الذي غيّر وجه التاريخ ، وروح الثقافة العالمية ، ونفسية المبادىء الانسانية ؟ وصوّر جلال المعجزة العالمية ... ولقد تبين للمطالع المدقق من العرض الرابع الذي وسط به زعمـاء قريش واسياد مكة ، عتبة بن ربيعة ان عمه لم يصوّر لهم حقيقة موقفه من ابن اخيه ام انه صوّر حقيقته ولكنهم لم يثقوا بها ، ولم يؤمنوا بوقوعها ، ام انهم عذروا العم لحنانه على ابن اخيه ؛ واستكباره لمواهبه واعجابه لسحر بيانه .

كل ذلك يمكن حدوثه وقبوله لان شكهم في تبليغ سفارتهم تبين لهم عندمـا شهدوا ان اصحاب محمد ما زالوا يزدادون كل يوم قوة ، ويزدادون نمواً ، ويزدادون جلداً على قبول العذاب ، وصبراً على تحمل الاضطهاد ، وتصلباً في الايمان وتعشقاً لمحمد بينا عقليتهم تعتبر ، واثرتهم تجزم وتؤكد ان عرضهم يجب ان يكون الحد الفاصل . فأما ان يقبل محمد بما عرضوه واما يجمعوا على قتاله واضطهاده وقتله . ولقـد ظلت خيالات اوهامهم سائدة .

الخيالات التي اوهمتهم ان لمحمد مطامع بشرية يتمنى ان يتملكها ولما يحسن العم بيانها او ان محمداً لم يصدق عرضها .

ذلك ما توهموه لذا استخفوا بمـا سمعوا من ابي طالب وجددوا الاجتماع في دار ندوتهم وكرروا درس موقفهم مـن خصمهم وخصم المتهم ولقد اجمعوا مرة جديدة على مداراة محمد ومراودته على دينـه ، وعقيدته ، ونشاط صحابته .

اجمعوا على ذلك وعهدوا الى عتبة بن ربيعة بسفارة جديدة يعرضها على محمد . . .

سار عتبة في سفارته .

وعتبة ، من زعماء العرب الاشداء ولكن عرضه واسلوب بيانه في ذلك العرض لا يدل على شاعرية دقيقة ، وادب في البحث والجدل ، وزكن في معرفة العظمة النفسية .

وها اني اضع تحت بصر وبصيرة القارىء عرضه الفظ الختام وجواب الرسول السامي الرفيع .

لقد حكم السفير أثرة الجاهلية في عرضه وحكم الرسول بجوابه حكمه لا تغضب ، وقل الحق وان كان مراً ولكن قله بخلقك العظيم .

لم يغضب الرسول حقاً من قحة السفير ولكنه تألم في داخله الماً ساحقاً دفعه للاعراض عن مباحثة عتبة وجدله والاستكفاء بالنشيد الذي كان السيف مضاء ، والصاعقة ناراً في نور ، صعق الخصم ، واثاره ، وادهشه .

ولقد ابتدأت سفارة عتبة وانتهت هكذا :

دخل عتبة على الرسول وقال : « يا ابن اخي ، انك منا حيث قد علمت من المكان في النسب ، وقد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم فاسمع مني اعرض عليك اموراً لعلك تقبل بعضها .

أن كنت انما تريد تشريفاً سودناك علينا،فلا نقطع امراً دونك . . . وان كنت تريد ملكاً ، ملكناك علينا . وان كنت تريد مالاً قدمنا لك منه ما شئت وتمنيت . . وان كان هذا الذي يأتيك رئياً لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه من اموالنا حتى تبرأ . . . »

يا لرهبة الساعة ما ادقها . وبالجواب محمد ما اجلّه صادراً عن سدرة عرش الكمال .

لقد اجاب محمد هذا السفير المتهجم في تبيان ختام عرضه بان انشده سورة « فصلت » التي يسمو بيانها على كل بيان . وعلمها على كل علم ، وترتفع حكمتها فوق كل حكمة ، وفيه كل ما يرغب ان يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيراً وَنَذِيراً ، فأعْرَضَ أكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ، وقالوا قُلُوبُنا في أكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا إليه وفي آذانِنا وَقْرٌ وِمنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فاعْمَلْ إنَّنا عامِلونَ . قُلْ إنَّما انا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إليَّ أنَّما إلهُكُمْ إلهٌ واحِدٌ فاسْتَقِيمُوا إليه واستَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلمُشْرِكِينَ الذينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكوةَ وُهُمْ بالآخِرةِ هُمْ كافِرُونَ ، إنَّ الذينَ آمَنُوا وعملوا الصّالِحاتِ لَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ، قُلْ أئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالذي خَلَقَ الأرْضَ في يَوْمَيْنِ وتجعلونَ لهُ أنداداً ذلكَ رَبُّ العالَمِينَ ، وَجَعَلَ فيها رَواسِيَ مِنْ فوقِها وَبارَكَ فيها وَقَدَّرَ فِيها أقْواتَها في أرْبَعَةِ أيام سَواءً لِلسّائِلِينَ ، ثم استوى إلى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فقالَ لها وللارْضِ ائْتِيا طَوْعاً او كَرْهاً قالَتا أتَيْنا طائِعِينَ ، فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ في يَوْمَيْنِ وَأوْحَى في كلِّ سَماءٍ أمْرَها وَزَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بمَصابِيحَ ، وَحِفْظاً ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ، فإنْ أعْرَضُوا فَقُلْ أنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وثمود .

ما انتهى الرسول الى « مثل صاعقة عاد وثمود » حتى صعق عتبة واضطرب اضطرابة الطير المذبوح منادياً مستغيثاً ان حسبك حسبك..

**

يا لدقة احساس الرسول . ويا لجلال معارفه وعلمه بالنفس البشرية وملكاتها لقد اغضى عن عتبة اغضاء الفهيم الكريم واوقفه موقف محترم معتبر مأخوذ ...

ادرك عتبة بعد ما سمع وتفهّم ان محمداً فوق المطامع العالمية . والشرف العالمي والمال الارضي . والملوك البشريين . لذا سار مشدوهاً الى دار الندوة مسحوراً مما استثار غضب الزعماء . واوقد خشب حسدهم ناراً ...

التاريخ يؤكد انها النار التي اضطرمت في قلوب المشركين المضطهدين حتى احرقتهم ...

**

أيشك انسان عاقل يلمع في دماغه شعاع من نور الله بعد هذا البيان المبين .

أيشك – بعد ما سمع وقرأ وادرك – بجلال محمد.. وعظمة محمد.. وشعور محمد .. والمثل النبوي الاعلى في ادآب محمد ..

أيشك ان محمداً هو السوبرمن الاول العالمي ؟..

اي انسان عادل ، منصف ، حساس غمرت المعرفة عقله ، وتوّج الاخلاص بحثه – يتردد في ان يصيح بايمان :

حقاً ... حقاً يا « محمد بن عبدالله » انك الشاعر الاعظم « ذو الشعور الاعظم » .

حقاً — انك السوبرمن الاول العالمي .

رسول الثقـــافة والعلم ، رسول الهداية والتضحية ، رسول الحق والجرأة ...

رسول الفلسفة الجديدة والعلم النفسي الوضاء ...

ورسول الانسانية الجديدة الرفيعة الشعور والادراك ...

الجرأة والاقدام

الجرأة في سبيل اشاع حق . والاقدام على جلائل امور
– إثارة لشعب وشعوب. واسعاداً لامة وامم – ميزتان من
ميزات جبابرة الامم ونوابغ العالم وعباقرة الرسل .

لمشاهير الرجال الابطال !... وعباقرة العالم الكوني – مواقف جرأة ومغامرات اقدام – ابهرت الشعوب ودغدغت التاريخ المعاصر وما بعد ذلك التاريخ. ولكن جرأة مشاهير التاريخ العالمي بمجموعهم – واقدامهم كلهم – لا يوازيان جرأة واقدام– محمد بن عبد الله منفرداً ولا يضارعانها .

**

لامرآء الخطباء والقواد والائمة – جرأة خطابية – واقدام بياني ام حربي قد يكون القواد والخطباء والائمة – سادوا بها وانتصروا وعززوا سيادتهم ونصرهم ولكن سيادتهم ونصرهم في الخطابة والاقدام ان حللت الجرأة ودرس الاقدام :

ان دُرسا وحللا في جوهرهما – مثلاً – فقيرين ، رثي الثياب مسكينين اذا ما شبها او قيسا بصراحة واقدام السوبرمن الاول العالمي:

محمد بن عبد الله

الجرأة في صدر الشعب . والاقدام في قلوب الحزب غير الجرأة الموهوبة والاقدام اللابشري واللاانسي ... ان جرأة خطيب شاعر زكن – انبثقت من فكرة مجموع بشري وحلت في دماغه كفرد :

ان جرأة كهذه – انطلقت من ادمغة الجماهير ام ارادتهم سهاماً ، واستندت الى رهبة الجمهرة ، ونشاط الجمهرة ، واستعانت بالآتهم وأهبتهم وعزيمتهم – هي بظهرها جرأة فرد . وبجوهرها جرأة حلول . اي حلول نفسيات الجمهور بنفسية الفرد – كما تحل الصور المقابلة للمرآة في المرآة ، او الاصوات الصائحة في بوق الاسطوانات على صفحات الاسطوانات .

انها بجوهرها جمعت من فكرة الجماهير ، وارادات الجماهير – في مرآة دماغه . وعلى صفحات مسمعه ، وعن المرآة والصفحات انعكست . ومن فمه انطلقت . وبلسانه عبرت . فلم تكن في جوهرها – غير تبويق مثلت بفمه ، وقيلت بلسانه .

ان تبويقا كهذا التبويق – هش المكسر .

انه تبويق – عظمة – ان كان له من عظمة – لا توازي عظمة وجرأة رجل فرد خالف بمعتقده عقائد الاقوياء ومصالح السادة ، واتباع الاقوياء والسادة .

انه تبويق اسموه جرأة ولكنه لا يتوازن بقسطاس وجرأة من يجرح ايمان القبائل والاسياد من الجماهير ، ويجرحها بمفرده .

انه تبويق لا يتماثل وجرأة من يهشم اجسام الاصنام : العوبة السادة والهة المسودين المتحكمة في اراداتهم .

انه تبويق لا يتشابه بمقطع وجرأة من يقطع على كهان الهياكل – رزقهم .

انه تبويق لا يضارع صولة من يذلل كهان الاصنام ، واتباع كهانهم وعريفيهم من العبيد المساكين .

الجرأة التي تبضع العقائد بالارباب . وتسيل دماءها وتهز الهتها هزاً عنيفاً . وللالهة سلطان على عقول عابديها كما تعلمون .

سلطان – دونه المكاره ، ودونه شق الانفس ، يتدافع على مخالفيه غاضباً تدافع السيل . ويهبط على خصومه مخوفاً – هبوط الليل .

من مسه – ادم الحياة . من مسه – اسال الدماء .

اذن جرأة خطيب حساس شاعر زكن – جمعت جرأته وتآلفت وتضامت من جرأة العدد العديد ام شعورهم – في بوتقة – بوق فيها بفمه – لا تدل على فحمة منيعة ، ومطاب كؤود ، ونفس وثابة موهوبة مغامرة .

لا تدل على عبقرية المبوق – في الجرأة .

العبقرية التي يمثلها التاريخ البشري مجداً ، ويفاخر .

انها – بالحقيقة – لا تدل على يقظة فكر استبانه فرد – فثار فاندفع بعاطفته الثائرة فلفظ بفمه الهائج ما يجول في سرائر القوم ، وما يختلج في ضمائرهم – لذا صفق له القوم . وفاخر به عشاق المرآة والحاكي وعظمه تاريخ امته القومي . وقد يكون تاريخ غير امته – اتساماً بسمته وتمذهباً بمذهبه .

**

وان جرأة قائد امير – يغمره احترام الناس المتحمسين ، وتجلله رهبة الامارة وحصانة سلطانها . ويظهر في مخاطبه – مبايعيه الامارة – صراحة في الجرأة تعلن حب النصفة .

ان صراحة كهذه تعلن ان الخطيب الامام يحب الانصاف .

يجب ان ينتصف من نفسه كما ينتصف من الناس المأمومين .

يجب ذلك ليؤكد انه علم حق وهداية . وليقطع خط الرجعة على الزعماء الاقوياء منهم : على رجاتهم ، على وساطتهم اذا ما فكروا بايهما عندما ينتصف الامام من الاقوياء للضعفاء .

ان جرأة كهذه — منيعة — بامانة الامامة ، حصينة — بموقف المبايعة لها كرامتها ، ولها ثوابها — فحسب .

اما جرأة رجل امي فرد يصدم ببيانه الالوف محقراً عقائدهم ، مجهلاً آلهتهم . مستصغراً اربابهم واصنامهم ، مذللاً عاداتهم وشرائعهم مستثيراً استكانتهم للاستعمارين : الاستعمار الفارسي ، والاستعمار الروماني .

والعقائد ، والآلهة ، والاصنام ، والعادات ، والشرائع والمستعمرين جيوش شعبية ،هي جيوش ضراعة وتعصب وجيوش استذلال ومصلحة وجيوش استجداء ومنافع ، تدافع عنهم وتستميت في سبيلهم .

ان جيوشاً كهذه يخاصمها انسي فرد ويتغلب عليها ، فمما لم يسمع احد عنه ولم يقل به تاريخ .

اما جرأة واقدام امي يخاطب الملوك والامبراطرة منـــذراً اياهم بواسطة سفرائه واما الاذعان لنواهيه وتعاليمه وشرعه ورسالته والمساواة في الحقوق والاخاء في الانسانية ، واما الخضوع ودفع الجزية ، واما الحرب ، فمما لم يسطره تاريخ ولم يطمح الى الاقدام عليه الا السوبرمن الاول العالمي :

محمد بن عبدالله

ان الجرأة التاريخية العظمى التي فاخر بهـــا الفرنسيون ، والثوار العالميون وعشاق الجرأة والصراحة انما هي جرأة ميرابو .

جرأة ميرابو في مخاطبته رسول الملك لويس السادس عشر عهـــد الثوره الفرنسوية .

ميرابو خطيب الثورة الفرنسوية القائل لرسول الملك عندمـا دخل الرسول الى مجلس الامة ناقلا امر سيده بحل المجلس وتهزيم الاعضاء .

« عد وقل لمليكك اننـــا هنا باسم الشعب ولا نخرج الا على رؤوس الحراب » .

**

محكم الاداء هذا الجواب !! بليغ في موقفه كل البلاغة !!..جريء كل الجرأة ولكن احكامه وبلاغته وجرأته محتسبة .

محتسبة في حراب الالوف وحجارتهم في ثورة الثوار وغضبهم .

الثوار الذين يحرسون المجلس الفرنسوي ويقولون قولته،ويسفكون دماءهم دفاعاً عن ميرابو .

نعم عن ميرابو خطيبهم ورجلهم الذي علق عليه الجائعون رجاءهم – في نيل حقوقهم ، وبأملهم – في اشباع بطونهم .

اذن لم يكن ميرابو في خطابه سوى ناقل صدى ومبوق بوق . ولم تكن جرأته سوى جرأة شعب مظلوم ، متمرد ، ثائر على ملك مبطان ضعيف هو عبد امرأة .

وان افخم مواقف جرأة اكبرها الاصلاحيون الدينيون في اوربا، مواقف « لوثر » ، وافضل مواقف « لوثر » موقفه في « ورمز » .

قال المؤرخون: لما عي امبراطور المانيا شارل الخامس من المناقشات والمجادلات بشأن المنشقين والكاثوليك عقد مجمعاً في « ورمز » ، بجماًضم

اشراف امته ، وامراء دولته ، وزعماء الدين ، والملك ، ودعا اليه «لوثر» من قريته ، فسار هذا الى المجمع وقام فيه خطيباً .

ولكن « توماس كارليل » يقول قبل هذا : بينا كان « لوثر » يسير الى مجمع الملك كان الناس يصيحون به من نوافذ الدور وشرفاتها ان تثبت في مبـــدئك يا « لوثر » تمسّك برأيك ، اياك والضعف ، اياك والانخذال ، ان ارواحنا في يدك ، وان العالم يناديك فلا تخيب آماله ، وفعلاً كان « لوثر » جريئاً في المجمع .

اننا نقول قولة المؤرخين : وقولة « توماس كارليل » ونزيد ان « لوثر » كان في ذلك المجمع جريئاً كل الجرأة .. بليغـاً كل البلاغة .. صريحاً كل الصراحة ولكن جرأته وبلاغته وصراحته ، كلها محتسبة بما ذكره «كارليل» نفسه من حماسة متحمسي النوافذ والشرفات وتضحيات الحزب الناقم على خصومه والقائل برأيه ...

وان ابلغ خطابين سلميين أوتيا جوامع الكلم، ورفعا منارة الحرية والجرأة وحق الشعوب اعـتز بهما صدر الاسـلام وهلل ، وفاخرنا نحن بحكم ادائهما وكبرنا ، هما خطاب ابي بكر الصدّيق وخطـــاب عمر بن الخطاب يوم بايع المسلمون ايهما امارة المؤمنين . خطاب ابي بكر الذي يدور في محوره حول قطبين :

الاول تصويره القوي بينهم ضعيفا عنده ليأخذ الحق منه ، ان كان معتدياً . والثاني تمثيله الضعيف قوياً عنده ليأخذ الحق له ، ان كان مظلوماً .

وخطاب عمر الذي يدور على قطبين محركين الاول في قوله : من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقوّمه .

وجواب الاعرابي والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوّمناه بحد سيوفنا ، ورد عمر :

احمد الله الذي اوجد في الاسلام من يقوّم عمر بحدِ سيفه .

انها الجرأة نورانية لاميرين حكيمين ، عادلين مقدامين صريحين ، ولكن جرأة ايهما يتوجها جلال الامارة ، ورهبة المبايعين ، وتحصنها اهابة الساعة ومناعتها ... وتنكر الموقف .. واستعجام المستقبل ...

* *

اما الجرأة الرفيعة السناء، الجراة التي انبثقت من دماغ فرد الى فمه، ضد عقيدة مجموع قوي بايمانه مستبسل في الدفاع عن آلهته.

اما الجراة الرفيعة السناء التي جرّحت ايمان فئات ثلاث .

فئة عصلاء وثقت انها حكٔرة الرب وشعبه الخاص . وفئة مقتدية قدست اقتداءها وفاخرت باعظم امبراطورية في ذلك العهد، تيمم ممتها وتحمي مجدها . وفئة مستبسلة بجيش من الهتها وقوى الهتها ...

اما الجرأة الرفيعة السناء التي جرّحت ايمان القوى الثلاث العظيمة واختصاصهم وعظمة حماتهم والهتهم .

جرّحتهم دون ان تريهم دماء تسيل ، وجروحاً تنكأ فتفتح ، فهي ما لم يجرأ عليها ولم يقل بها ولم يحسن رفاعة بيانها غير السوبرمن الاول العالمي

محمد بن عبدالله

في سوق عكاظ والمجنة . وذي المجاز ، حيث يجتمع النابهون من الشعراء ، النابغون من العرب، وحيث يجتمع الحجاج من اي الطبقات: الفرسان والاسياد ، والعلماء ، والتجار ، والعمال والدهماء .

في هذه المجتمعات كان محمد ينادي القوم وايهم العاصم عقيدته، الواثق من ربه وقومه ، المستقتل في سبيل امته واختصاصها .

كان محمد ينادي القوم بصوت جهوري وادب نفسي لفظي :

« ايها الناس قولوا لا إله الا الله – تفلحوا وتنجحوا » . جميعكم قولوا دون استثناء تفلحوا جميعكم. قولوا الحمد لله رب العالمين رب الجميع تفلحوا وتنجحوا .

هذا استشهاد في الجرأة ايها الناس ، هذا استشهاد ايها الحساسون الشاعرون من بني البشر ، ينحني امامه برهبة وجلال اعظم الجريئين في التاريخ البشري ويكبره كل الاكبار بولس الرسول اذا ما تذكر موقفه في الهيكل الوثني الاثيني في « اريوس باغوس » ، ويقدسه المستخارون في اليقظة الفكرية من علماء النفس .

يكبره المستخارون من علماء النفس لان محمداً اهمل في ندائه ابحاثاً وسخريات ابحاث .

ابحاثاً عن ايمان فئة بحكرتها الله وقولها باختصاصه اياها دون سواها .

وابحاثاً عن مستندات فئة افتداها الله بدم اقنومه الثاني الزكي فخلصت وهلك من سواها !!.

وابحاثاً عن فئة حسست الحجارة والنحاس والهيولى وعقلتها بعقرل ، وملكتها بسلطان كن فيكون !!. ومن ثمة كوّنت منها معبودات عدتها راكبة رؤوسها في غواية مصنوعاتها ...

ما اعذب ذكاء السوبرمن الاول العالمي وما اسمى ادراكه في علم النفس الانسانية. فقد جرح الجميع دون ان يريهم شقوق الجروح ليستثير

عطفهم وشفقتهم ودون ان يتكأ جروحاتهم ليفجر حماستهم .

لقد القى بذار الشك والريبة في رؤوس الجميع . والشك رفاص الفكر ورقاصه ، وساوى بينهم كلهم اذا قالوا بالله الواحد الرحمن الرحيم وكافأهم كلهم بالفلاح والنجاح ، دون ما تمييز بينهم ، وتكبير لفئة دون اخرى او تمييزها .

اذن ما بوق محمد – بفمه – ارادات سواه ليحترم السامعون ويهاب عظماؤهم ولا اتكأ على رهبة الامارة وجلال الموقف بل على جيش عظيم رابض في تكوين نفسه هو خلاصة شعوب وامم . وجوهر ابطالها وعلمائها .

وهل السوبرمن الاول العالمي بحقيقته غير خلاصة اكمل الناس ذكاء، واسماهم عاطفة ، واخلصهم ادباً، تجمعت من اجيال في اصلاب وارحام ومن ثمة انبثقت خلاصة بفرد فكانت الذكاء كل الذكاء والعاطفة كل العاطفة . كانت مقتطف ذكائهم كلهم وعاطفتهم بمجموعهم .

**

في عصرنا النوراني هذا ...

عصرنا هذا الذي روضت فيه الاخلاق ، وجملت العشرة ، وتغلبت المعرفة وتشهي التساهل وكرم اصحابه وحماته – لا يجرأ فرد ان يكذب اثنين ام ثلاثة ام خمسة اجمعوا على عقيدة ، حتى وان كانت تلك العقيدة سياسية .

لا يجرأ ان يهشم عقيدة طائفة ام يذكر خطيئات مذهب حتى الملحدين بذلك المذهب ،الكافرين به من ابنائه، البارين بالحادهم وكفرهم!

انه اذا فعل تعمد البارون بسرعة العاصفة والزلزال – في جرن

الطفولة وتلونوا بلون حداثة السن، وصبغوا بصباغ عهد الحلم ، ومثلوا بخط وجعة تكوينية، فحلت في اجسامهم الكبيرة نفوس اجسام الولدان الصغار عند ترعرع الاحلام ودراسة العصمة الطائفية ، وكمال المبادىء الطائفية !! فعنفوا القائل والمنتقد بجفاء الناقم وغلظته ، وهزهزة الولدان في غضبهم.

اما كيف خرست الجماهير تلك مرات وسنوات ولما تفعل شذوذاً دموياً ، رغم صيـــاح ابي لهب بن عبد المطلب « عبد العزة » وضجيجه فالمعجزة ما ذكرها التاريخ ولا شرحها العلماء ولكنها معجزة اذا حللناها فرجاؤنا ان لا يقول الباحثون !. ما قاله حاسد في كولمبس بعـــد استكشافه اميركا وعودته الى اسبانيا. وكولمبس وعظماء امته وحاسده الى طاولة امامهم بيضة .

بيضة يعرضها المستكشف على الهازىء الحاسد ليجلسها على رأسها..

اذن نحلل على ذلك الرجاء.

ان شخصية السوبرمن وايمانه وعقائده تنبثق وتحلّ في نفوس القوم ايماناً ، فيحترمون ، ويهابون ، ويؤمنون .

لان ايمان السوبرمن بنفسه عظيم ، وعقيدته بشخصه ، عقيـدة جبل برسوخه ، وتأثيره على محدثيه ، ومعاشريه ، تأثير المنوّم المغنطيسي في المنوَّم .

ان الفرق السحيق بين تأثير المنوّم ، وتأثير الرسول ، ان المنوّم تتجاذب نفس واحدة الى نفسه ام نفوس معدودة هي عدد اصابع اليد الواحدة ، ان كثرت . اما الرسول فقـد كانت خلاصة الوف النفوس خلاصة ملايين .

خلاصة جواهرها الفردة ـ لذلك جذبت الى امثالها الى جواهرها الى نفسها الملايين فأثرت في الآلاف وفعلت فعلتهـا في القوم جذباً ودفعاً . فعلت فعلتها في القوم ، وفي الامم ، وفي الشعوب فكان جيش فكرته جيشاً لجباً . وعدته الفردية عدة ضخمة . لذا افتتح العقول واستعمر الادمغة .

وتلك هي المعجزة، معجزة يحس برهبتها كل من حاولها، واستعرض رسومها .

معجزة تتمثل بشكل جرأة مطاعة تسمو على جرأة اي بشري في التاريخ العالمي . لانها جرأة السوبرمن الاول العالمي

محمد بن عبدالله

**

اما المعجزة الثانية التي تمثل اسطورة وخرافه ، ووهماً ، وخرقاً في النظام الاجتماعي والسياسي والانساني والعلمي .

اما المعجزة الثانية التي تمثل اسطورة مهزلة لو لم يجمع عليها تاريخ الامة العربية وتواريخ الامم التي عاصرتها .

اما المعجزة الثانية ، المعجزة اللاعلمية والتي اصبحت علمية واصبحت واقعية ـ فمخاطبة الرسول العربي لملوك الامم وامبراطرتها وامرائها واقيالها ، مخاطبة ذي سلطان .

الرسول الأمي، راعي البهم، وتاجر الاقمشة والتمر الذي يستكفي من زينة الجسد برداء وثوب ونعل . ومن تغذية الدم واللحم والعصب بمثل ما تغذى به عند ام هانيء اخت علي ، بفتات خبز الشعير الممزوج بماء وملح وخل . والذي يحيط به قبضـة من رجال لا يتجاوزن

الاثني عشر الفاً كانوا حتى امس الغابر اتباعاً لاولئك الملوك والامراء يستجدون رضاهم ، ويقدسون حماهم، وينصبّ امراؤهم بامرهم ليقروا ارادات اسيادهم طائعين متسابقين. الى هؤلاء الملوك يُسيّر الأمي سفراءه.

الى الملوك والامبراطرة والامراء الذين يأمرون الجيوش الضخمة ، فتأتمر ، ويدفعون الفيلة ، والعدد النارية المزهوة ، فتندفع .

يسيّر سفراءه اليهم بعد واقعة الحديبية التهذيبية ويخاطبهم مخاطبة السيد الهادىء المبشر المنذر الآمر الناصح ، فيسيّر دحية بن خليفة الكلبي الى امبراطور اعظم امة سادت العالم المعروف في ذلك العهد، الى القيصر الروماني الذي تخشاه الامم ، وتهتز لذكر اسمه الشعوب .

ويسيّر عبدالله بن حذافة السهمي الى ابرويز بن هرمز بن انو شروان كسرى شاهن شاه ملك الفرس .

ويسيّر حاطب بن ابي بلتعة الى كيربوس كير عظيم القبط المقوقس ملك الاسكندرية .

ويبعث غيرهم كما تعلمون ام تتعلمون الى اسياد امم، واقيال شعوب فاذا سفراؤه في يوم واحد ستة من البدو الى ستة من الملوك .

**

ومن ثمة يبعث تسعة رجال من رجاله البدو سفراء ، الى تسعة من امراء وملوك .

اني لا ابحث عمن اذعن من الملوك والامبراطرة والامراء وآمن ام اكره بعد زمن على الطاعة ام دفع الجزية ام الاقتناع فالايمان .

ان ذلك من موضوع التأريخ والمطالع يعلمه او يراجع علمه ولكني ابحث عن نفسية الآمر والمبشر، والمنذر ، والرسول عن فلسفة نفسيته.

عن اقدامك المقدّس ، وجرأتك اللابشرية يا محمد .
عن انتصارك المبين في ذلك الاقدام وهاتيك الجرأة .

نعم عن اقدامك يا محمد يا من صدقت فيك آية يسوع . آية يسوع القائلة : « من كان له ايمان بقدر حبة الخردل وقال لهذا الجبل انتقل من هناك الى هنالك — فينتقل » .

لقد كان ايمانك بالله ايمان رسول امين فنقلت اعظم من جبل من هناك الى هنالك .

ان الجبل يحوله الاراديون لمصلحة امة بآلات ، اما انت فقد حوّلت الملايين ونقلت نفوس القوم من قارورة التفرقة والظلم ، والضلال والضعف ، والاستكانة ، وذل الاستعمار الى بساتين الالفة والهدى والقوة والاقدام ، والعدل ، وعزة الاستقلال .

وحولت ممالك وامبراطوريات وامارات بسرعة الفارس السبّاق في خطرات السبق الى مملكة واحدة وامبراطورية واحدة .

الى مملكة هي مملكتك ، وامبراطورية هي امبراطوريتك .

وهكذا جئت باسمى اعجوبة بشير ، واقدس معجزة رسول ،فكنت بحق السوبرمن الاول العالمي ، الذي حقق الآية الهاتفة :

« ولله العزة ، ولرسوله ، وللمؤمنين » .

العدل والانصاف

نق جسدك وطهر اصغريك ان بحثنا
ـ عن اجود ولد آدم ـ يا قارئي

قد ينصف القضاة ، المتقاضين . . وقد ينصف افراد من العظماء ام الاسياد الحكام ام الرسل ، الناس من الناس .

قد ينصفونهم من الناس كلهم من اي خصومهم المعتدين عليهم ، وقد يكون انصافاً عادلاً موزوناً ـ حقاً .

اما . . .

اما ان ينصف القضاة ام العظماء ام الملوك ام النوابغ ام الرسل ، الناس من نفوسهم.

من نفوسهم ، من ذات نفوسهم ، وان انصافاً ادبياً ، والقضاة ام الملوك ام الرسل في عهد منعة وعزة .

والقضاة ام الملوك ام النوابع ام الاسياد ام الرسل ـ اقوياء اشداء؟ فلا . لا . . . حقاً لا .

هذا انصاف ما ذكره معجب بعظيم عن عظيم وما سطره مقدس لرسول عن رسول .

ما ذكره تاريخ شعوب ، ولا سطره تاريخ امم عالمية عن فرد من ابناء الامم الاميين .

لان هذا الانصاف ، ان خلافاً سياسياً كان مع ـ القوي ، وان في شكلة اقتصادية ، وان في نضال ادبي ، وان في اساءة شخصية، وان في اهانة كرامة ذاتية ، اذا ما حدث فهو معجزة .

ومعجزة سامية فياضة بالخير .

فاذا كانت معجزة فياضة بالخير من لها غير السوبرمن الاول العالمي الذي روّض نفسه القابلة وعقلها ، وثقّفها ، وهذّبها فطهرها .

من لهذه المعجزة غير ذاك الأمي العربي الراعي البناء ، الذي كان يدير نفسه في قطب الخير المحض خمس مرات في اليوم . وفي الخمس مرات في اليوم ، يضعها بين يدي الحقيقة الالهية لتنقيها .

من لهذه المعجزة غير الرسول الذي كان يعتكف في بدء رسالته ، شهر رمضان بكامله ، ومن ثمة العشر الاخير من رمضان في كل سنة في المسجد ام في غار حراء ، اثناء التبشير بتلك الرسالة .

وفي كل سنة يقوم بهذا الاعتكاف ، وهذه الوحدة ، وتلك العزلة وهاتيك الادانة الذاتية، اعترافاً لربه ، واقراراً لاهه .

في كل سنة يعمل على ادانة نفسه ، على تطهير قوى دماغه ، القوى العاقلة الباحثة المحللة . والقوى الادبية الشاعرة الحساسة، والقوى الطبيعية الثائرة النافرة ، الشهوانية المضطربة .

في كل سنة يقدم في هـذا الاعتكاف الحساب لربه عن نفسه ، عن خيرية جهوده ، وعن شرر جهوده ، عن كل دقيقة من دقائق اعماله، عن رسالته هونها وعزتها .

اذن عن ماضيه يدين نفسه ، ليعد لمستقبله وغده خيره فاذا ما فعل

نادى ربه بصراحة نورانية . وجرأة قدسية ، وضراعة وادعة مستغفراً دون ما ادعاء ، بعصمة !... مستغيثاً ، دون ما اعتزاز بكمال !..

اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ، ونقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس... وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب » .

اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي .

اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخّرت وما اسررت وما اعلنت ، الهي لا إله الا انت .

اللهم اصلح لي ديني الذي جعلته عصمة امري ، واصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي .

اللهم اني اعوذ برضاك عن سخطك ، واعوذ بعفوك من نقمتك ، واعوذ بك منك .

واذ يحس بنقاء فكرته ، وبراءة سريرته ، وتطهر ضميره ، يمسه الهاتف بجناحيه فيقول :

« سمع الله لمن حمده ، اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات ، وملء الارض ، وملء ما شئت من اي شيء بعد ... »

لا مانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع لذا الجد منك الجد . اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني ، ويكبّر ويخرّ ساجداً حتى يمكن جبهته وانفه من الارض .

اذن ... اذن من لانصاف الناس من نفس القوي العزيز غير القوي في ذاته ، الجبار في معرفة نفسه ، الشديد القسوة في محاكمة سريرته ،

الذي انتصف من جبابرة قواه ، فهذبها ، وتغلب على بركان غضبه فاطفأه ...

من لهذا الانصاف غير صاحب المعجزات ، غير السوبر من السامي العالمي .

محمد بن عبدالله

ومن لهذه المعجزات غير آحاد من اتباع هذا السوبر من الذين تمثلوا الرسول ، وتصيّروا الامام

اشعر ان السامع ام المطالع يستعجلني البرهان المبين .

اشعر ان الشاعر المفكر المنطقي ينادي بعد استفتاح الانصاف ان ثبت بالحوادث التاريخية ما ذكرت . هات الشواهد عما قدمت .

اذن، ليسمع المستعجل ، ، وليعتبر الشاعر المفكر بالحدث التاريخي الآتي :

اقترض « محمد » بعيراً فجاء صاحب البعير يتقاضاه فاذا الرسول بحلقة من اصحابه ، وجمع من رجاله .

تقدم مقاضي الرسول لما بين الجماعة وكان فظاً خشناً ثائراً وظل يتقدم مازءاً قدميه حتى اصبح ووجهه ازاء وجه الرسول واغلظ في اللائمة وسخف . وذم في القول ، وقبح ، فاذا اصحاب الرسول ، وايهم البطل الحساس المعجب المحب ، يثورون ، واذا ايدي بعضهم على قبضات سيوفهم وايدي فريق على غليظ محاجنهم ، واذا بهم يتحفزون ، واشعة الغضب المتطايرة من نظراتهم تهبط على الذام الغليظ — هبوط النيازك على مستقر الجذب . واذا بالرسول يشير بيمناه — ان قفوا . واذا به يخاطبهم بكلمات خمس .

بكلمات خمس رائعة ، هي مجلد حق للعقــلاء ، هي كتاب عبر للمعتبرين ، هي خلاصة حكمة للحكماء ، هي سنّة عظيم موهوب من ربه ، احب الحق ، حتى اصبح الحق ، قسماً من نفسه ومزيجــاً من حياته ، وغلافاً يغلف خلقه ، ودستوراً ينظم اعماله .

اذا بالرسول يقول لاصحابه :

« دعوه فان لصاحب الحق مقالا » .

واذا باصحابه وقد شهدوا وسمعوا يتحجرون .

انهم يتحجرون امام موقفه ، تحجر المومياء .

حكماً بعبارة خماسية الالفاظ يغير فكرة ابطال ، ويقيد حركاتهم ، ويذهلهم .

اما لو كان الرسام المصور الفهيم في ذلك الموقف شهوداً عن بعد .

نعم عن بعد — ليظل متحركاً وحراً في نزعات فكره ويده ونقل على ورقه ما وقع وما حدث ، لنقل الى العالم شكل «المعجزة» وعرف البشر بأس الرسول الكلامي المنصف ، وبيان الرسول الحقيقي ، وروح العدل وحقيقة الحكمة الالهية المنبثقة من فمه .

اراهم الحضور بثورتهم ، من كانت يده على قبضة سيفه فان يده تحجرت على قبضة ذلك السيف ، ومن كانت يده على غليظ محجنه فان يده سكنت على غليظ محجنه ، ومن كان متحفزاً فقد جمد متحفزاً ، ومن كان كيفما كان فقد ظل كالمومياء ، كيفما كان . . .

لقد ذكّر محمد العالم في عبارته هذه وموقف رجاله موقف يسوع وشكل معجزته ، ويسوع ينصف الآخرين . . .

لقد ذكر العالم بشكل « معجزة » يسوع عندمــا قال للضجاجين السائرين خلف المجدلية مريم :

« من كان منكم بلا خطيئة فليرجم هذه المرأة بحجر » .

وهنا بعد هذه العبارة شوهد اي الضجاجين الصاخبين قد تحجر في موقفه وحركته ، تحجّر المومياء ذاكراً خطاياه ، مستعرضاً ذنوبه مرسومة امام وجهه ، وتلك هي المعجزة .

**

وليسمع المستعجل ، وليعتبر الشاعر المفكر بالحدث التاريخي الثاني ، ليسمع وليعتبر في كيف يوفق الرسول بين قوله وعمله او بين مقوله ومعموله .

تقاضى غريم ديناً من الرسول ، وما تقاضاه مهذبا اديباً بل تقاضاه فظاً غليظا فاسمع الرسول المريب من الكلام بهزهزة العصبي الغاضب فثار عمر ابن الخطاب على الغريم وهمّ به فقال الرسول :

« مه يا عمر ، كنت احوج الى ان تأمرني بالوفاء ، وكان احوج الى ان تأمره بالصبر ... »

يا لروعة ابن هاشم يعنف الصديق الحكيم العادل وينصحه ويجعله في نصيحته فوقه ، يجعله حكما ، يجعله آمراً عليه .

يعنفه والصديق يدافع عنه ويضحي ، ويتجاوز عن الخصم الفظ الخشن والفظ الخشن يعنف ويسفه .

وفي ذات الوقت يلقي امثولة ، في حادث شخصي ، يلقي امثولة بليغة وضاءة في السلام العالمي ...

هذه عظة قدسية يا محمد ... وهذا انصاف لا بشري يا رسول الحق والقوة ، والسلام ، والحلم .

في موقف واحد حققت آيتين من آيات ثلاث بشرت بها بقولك :
ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان .
« الانصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والانفاق في الاقتار».
وزدت آيتين في هذا الحكم .

اعترافك بالحق ورفع مقامه فوق عرش أثرتك ، واقامتك صاحبك عليك حكما في ساعة خصومتك .

انه لموقف حساس ايها القارىء ام السامع .

موقف حساس كل الاحساس ، يدرك طهر قدسيته ، المتبصر في شرائع عصرنا الكهربائي العلمي الذري الدعي هذا ، عصرنا الفلسفي ، الذي يقدس ليس الملوك والامراء والاباطرة بل يقدس حتى رئيس الجمهورية الدساس المنتقم ويجعله فوق الحق وفوق القانون فهو بتعريف دساتيره « مقدس وغير مسؤول » .

**

ألا تزال يا سامعي ام قارئي ظامئا لكوثر الانصاف المحمدي ، انصاف محمد من نفسه .

اذن اقرأ الحدث الثالث واعتبر :
يهودي باع الرسول الى اجل .
قبل الحلول جاء يتقاضاه الثمن فقال له « لم يحل الاجل بعد » .
قال اليهودي « انكم لمطل يا بني عبد المطلب » :

عبارة هاجت اصحاب الرسول فهمّوا بالسباب ، وهمّوا بالطاعن فاذا بالرسول يسكتهم باشارة ولا يزداد الا حلما فيرد سباب السباب

بالبرهان الرصين الهادىء ، وحلم الكريم الحكيم ، واذا باليهودي يصيح بملء فمه :

« كل شيء قد عرفته منك يا محمد من علامات النبوة وبقيت واحدة هي الا يزيدك شدة الجهل عليك الا حلمـــا فاردت ان اعرفها فاذا بك الحليم واذا بك الكريم فبايعني يا رسول الله قد آمنت وقد اسلمت » .

واذا كان دماغك يا قارئي ام سامعي لا يزال متعطشاً ظامئا فاقرأ ام اسمع وقبل ان تقرأ ام تسمع عد فتظهر انك في حضرة الانساني المقدس ...

دخل عكاشة على محمد ... ومحمد في جماعته ، في رجـــاله وصحابته وقال للرسول :

– ألست القائل يا محمد في خطابك العالمي بعد ان بلـّغت وانتصرت ان المؤمن ينتصف نفسه من نفسه ؟ ألست القائل في ذلك الخطاب وقد اصبحت القطب « ايها الناس من كنت جلدت له ظهراً – فهـذا ظهري فليستقد مني ، ومن كنت شتمت له عرضا – فهذا عرضي فليستقد منه . ومن اخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يخشى الشحناء فهي ليست من شأني » .

– اجل ، اني القائل .

– اذن في واقعة انصاف امرت بها غضبت عليّ فضربتني بسوطك على كتفي وظهري حتى كدت تدميني وها اني جئت لتنصفني من نفسك أفاعل انت .

– اني لا اذكر فعلة كهذه يا عكاشة .

– بلى . بلى . لقد فعلت اني على ثقـة انك فعلت . واني لا ازال أحسس الم ضربك ،

– اذن انتصف ، اعتد عليّ مثلما اعتديت عليك ، اجلد كتفي وظهري واستقد مني ان كنت صادقا يا هذا ، وادار ظهره فقال عكاشه :

لقد القيت سوطك على ظهري و كتفي وهي عارية يا محمد ، فتعرّ .

فالقى الرسول عن كتفيه عباءته وقميصه حتى بان ظهره كله عاريا ونادى عكاشة – ان افعل يا هذا – اعتد عليّ مثلما اعتديت عليك ؟ استقد مني ، استقد ... فاذا بالمدعي وقـد مثل عري الرسول ، يخرّ مكبراً معترفا .

والله يا رسول الله ما فعلت بي تلك الفعلة ولكني شئت ان اجرّبك فخلقت الاعتداء ، والله ما فعلت يا رسول الحق ، والاناة ، والانصاف ولكنه قيل لي ان سمة النبوة ، وشارتها المقدسة تلمع على ظهرك فتبان نجما نورانيا فشئت ان تكتحل عيناي بالنظر لتلك السمة النجمية واشعتها المباركة فاكتحلنا ... الله اكبر ، الله اكبر ، ثلاثا ، انك رسول الله الامين وانك كما قال ربك لعلى خلق عظيم ...

**

ماذا تسمع من ابناء البشرية كلهم ممن تطهرت ضمائرهم وسرائرهم بعد هذا ، الا تسمع تلك الضمائر وهاتيك السرائر تردد بالافواه قول عكاشة الله اكبر ثلاثا .

بلى . بلى . انني اسمع ذلك من افواه المطهرين حتى ومن افواه الضالين من ابناء الشعوب كلهم اذ للضال ساعات استيحاء يشعر بها بالحق .

وساعات انصاف يعترف بتلك الساعات بالفضل والكمال ، والقدسية والجلال .

وها ساعات الحق ، وساعات الانصاف فليقل الضالون العالميون كلهم ما يقول المؤمنون الصالحون المطهرون : الله اكبر ثلاثا .

انك كما قال ربك يا محمد ، انك لعلى خلق عظيم .

ليقولوا ثلاثا : انك لعلى خلق عظيم يا محمد ...

قال الامام علي :

« ان الله سبحانه وتعالى ادب نبيه بقوله ، خذ العفو ، وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » . فلما علم انه قد تأدب ، قال سبحانه وتعالى : « انك لعلى خلق عظيم » . فلما استحكم له من رسوله ما اراد . قال جلّ جلاله : « ما اتاكم به الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

العفو والغفران

بشّر رسل الله، والادب الخصب، وسفراء الرحمن الرحيم، والاخلاق السموحة .

الرسل الذين تنقت نفوسهم من الغل ، والحقد ، والكره ـ وسمت.

بشّروا بالعفو والاغتفار ، بشّروا بالصفح والتجاوز عن ذنب المسيء، ولقد برّ معظمهم وعملوا بتعليمهم، عملوا بتبشيرهم فكانوا امثولة الاغتفار الكبّسة ، وغفروا لمن اساء اليهم فكانوا قدوة طيبة في منطوقهم ، ومعمولهم ، بغفرانهم لمن اساء اليهم ، الى ذاتهم... حقا، غفروا ، ولكن التاريخ لم يسجل الى اي الغافرين ، انه كان قويا ، ام كان منيعا ساعة اغتفاره ... لم يذكر ان اي الغافرين كان حصينا منتصراً على اعدائه ومضطهديه . واية قيمة لعفو من لا يطاع ، واية معجزة لتجاوز من لا يقدر ...

**

بشر اطهار وبشر رسل بالعفو والاغتفار ، وغفروا لكبار المسيئين اليهم المجرمين ضدهم ، لان المجرمين بتعريفهم النوراني، وعلمهم النبوي ، ما كانوا يدرون ما يفعلون كما ان الغافرين انفسهم ، في ساعة اغتفارهم ، ما كانوا اقوياء ولا كانوا اشداء .

ترى ، لو كان القائلون بالعفو ، المعلمون بالاستصفاح ، المنادون ربهم يعلمون ان المسيئين المجرمين يدرون ما يفعلون .

ترى ؛ لو كانوا يعلمون ان المسيئين يدرون وكانوا هم انفسهم اقوياء منيعين حصينين منتصرين ، اكانوا قد عفوا عنهم ، واستنزلوا استغفار ذنبهم من ربهم عليهم .

العفو والغفران عن معرفة وقوة وحصانة ؛ فعلة طاهرة ، واغتفار معجز ما عطر تاريخ عظيم ، ريحه في تواريخ العظماء ...

فعلة طاهرة ، بل غفران نبيل ، ازهر ومـــا اثمر لدى اي الرسل الاجلاء .

اذ الجوهر لب الجوهر ، ان غفران القوي الذي يعلم ان الخاطىء يدري ما يرتكب ، ويدري ما يفعل من ذنب .

ان هذا الغفران وحده ، ان هذا الاغتفار دون ما سواه ، عظيم ، ان عفوه وحده ان استصفاحه دون ما سواه نبيل . والحقيقة كل الحقيقة ان تلك العظمة ما توجت انسيا ، وذياك النبل ما جلل رسولاً في التاريخ العالمي ، وتاريخ الرسل .

والحقيقة نور الحقيقة ، ان تلك العظمة ما توجت رأسا غـــير رأس السوبرمن الاول العالمي .

والحقيقة نور الحقيقة ، ان ذلك النبل ما كلل هامة غير هامة الرسول العالمي الامي العربي :

محمد بن عبدالله

بن عبد المطلب بن هاشم

وغير رؤوس وهامات آحاد من اتباعه ، استدوا بسنته وتنبلوا بنبله .

**

اما كيف توجت هامة الرسول العربي الامي بتاج اغتفار القوي

القادر المنيع فالتاريخ وحده التاريخ الحقيقي المجمع على صدقه يذكر مواقف عديدة وافرة نستكفي نحن من تلك المواقف التي تشرف الانسانية بعبرة شمسية وحدث عظيم ...

ظل المتخلفون المشركون في مكة ، قبل الفتح ، سواسية خبث ، ظلوا عهداً طويلاً ، ظلوا عشرين سنة وسنة قبل الهجرة ، وبعد الهجرة .

ظلوا وايهم علق شر للرسول ، ايهم عض سوء لاصحاب الرسول ، والمؤمنين بطهر دعوته ، والقائلين بصدق رسالته .

ثلاث سنوات حاصروه في بدء رسالته ،حاصروه في الشِعْب ، قطعوا عنه الغوث ، منعوا الرزق ، فجاع ومن معه وغرثوا .

جاعوا وغرثوا حتى انهم اكلوا اوراق الشجر ، ولحاء الشجر .

اجاعوهم وما استكفوا بل اوغروا صدور العرب عليهم ،واستوقدوا غيظ العرب ونقمتهم ، ووثبوهم عشرين سنة وسنة .

اباحوا دمه ودمهم ، وعلقوا في ذلك الحصار وتلك الاباحة صحيفة في جوف الكعبة طمأنة للمقتدرين على الاذية . وزادوا بان اجازوا المعتدي بثروة .

كل ذلك فعله المشركون خصوم الرسول ... وبعد عشرين سنة صبر ، وجلد ، وثبات ، وجهود ، وسنة .

بعد ذلك الزمن الذي يفل الهمم ، ويذيب الصخور ، افتتح الرسول في رمضان مكة .

دخل ظافراً منتصراً، دخل وطنه الذي هزّم منه وابعد.. ما وجه المنتصر الظافر الفاتح عنايته للانتقام من خصومه والموثبين عليه عشرين سنة وسنة .

ما فعل ذلك ساعة الفتح المبين .

بل سار نحو امنية رفيعة ، وغاية نبيلة ، سار اولاً حول الكعبة يطعن آلهة العرب الصنمية ، الخشبية والحجرية والهيولية .

ستون وثلاثمئة نصب هدمها وهو يقول :

« جاء الحق وزهق الباطل » .

« جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد » .

أجل ، دخل منتصراً ظافراً غالباً وما توجه الى اعدائه واعداء ربه لينتصف منهم ، وليعتدي عليهم مثلما اعتدوا عليه . ومثل ما اعتدوا على صحابته وانصاره . ولم يصادر اموالهم، مثلما صادروا امواله واموال انصاره، وما استولى على منازلهم كما استولوا على «منزله»، بل دخل الكعبة بعد هدم الاصنام .

سار الى البيت الحرام و كبّر وخرج الى مقام ابراهيم وصلى، وجلس في المسجد

جلس في المسجد والمغلوبون على امرهم يرتقبون برهبة وخوف .

ما جلس في المسجد جلوس قواد العالم العظماء المزهوين المغرورين بانتصارهم .

ما جلس في المجلس جلوس برتوس القائد الغالي وامثال برتوس عندما غلب رومة وفرض عليها الجزية الباهظة .

لقد اشتكا الرومان تلاعب الوزّانين وهم يزنون ذهبهم للغالب .

لقد تقدموا من المنتصر مستعطفين فرحمهم برتوس المنتصر بان القى سيفه في الميزان ليزنوا ثقله ذهباً زيادة عن الجزية وهو يقول : ويل للمغلوبين .

لم يجلس جلوس نابوليون في بولونيا بعد ان تغلب نابوليون على بولونيا وطلب فدية شهوانية ، طلب سيدة نبيلة ، هي اشرف سيدة في بولونيا لتستسلم اليه وتكون خليلته ، ليساعد وطنها على الاستقلال .

امثال الفاتحين الجبارين يفعل عظماء العالم البشري ساعة انتصارهم...

هكذا يفعل اسياد الفتح ولما تضطهد شخصياتهم من مغلوبيهم .

اما الرسول ، اما الرسول العربي العظيم فقـــد وقف في المغلوبين المضطهدين الظالمين خطيباً مبشراً معلماً قائلاً :

«لا إله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ؛ وهزم الاحزاب وحده » .

« يا معشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء . الناس من آدم وآدم من تراب » .

يا لجلال الرسول !

في زهو الانتصار ومجده ، وبعـد جهود كؤودة يردد في الناس : « الناس من آدم وآدم من تراب » .

ومن ثمة يسمعهم الآية التي تعلم المساواة العالمية ، والصلاح الانساني ، والفضيلة الالهية .

« يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليكم خبير » .

ومن ثمة ثانية – يجيل الرسول نظره الجميل الجذاب الوديع في القوم ساكناً ، والقوم ، رهينو البلابل نجييو الوساوس ، مدلهو العقول . مستطارو الافئدة ؛ يتوقعون حكم الظـــافر الغالب الذي اضطهدوه

واتهموه واجمعوا على قتله فاذا الرسول يحقق حديثه القائل : « الفضل في ان تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » .

اذا به يقول بصوته العذب الجهوري للخائفين الظالمين :

« اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وهنا ...

هنا تجلت « معجزة » استقصاها الدارسون الباحثون عن نفسية القوم وتأثير الرسول .

لم يقل الرسول مزهواً – عفوت عنكم، لم يقل سامحتكم، غفرت لكم سيئاتكم ، لم يمن ، بل تجاوز كل ذلك ، تجاوزه بكبر وسمو وقال برقة شعرية « اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وفي هذه الساعة ظهر جمال الاستغفار المتجلبب بجلبـــاب الكرم الخلقي والرفعة الفكرية .

لان هذا الغفران العظيم حسس اعداء الرسول والاسلام، مثل امام مخيلة ايهم ... بسرعة الفكر البرقي ، مثّل امام مخيلة ايهم، امنية محمد النبيلة ، وخيريته ، فقابل بين رحمة الرسول واناته ونقمة شخص السامع وغروره، بين كبر محمد ورفعته، وبين تطايش شخص المعفي عنه وسفهه.

بسرعة الفكر البرقي هذا ذاب كبر المشركين، وغرور المشركين كما يذوب الشمع امام وجـــه الشمس فندموا على خطاياهم وتطهرت سرائرهم ومثلت «المعجزة» بشكلها المستنير،صورة جميلة باهرة،ساحرة.

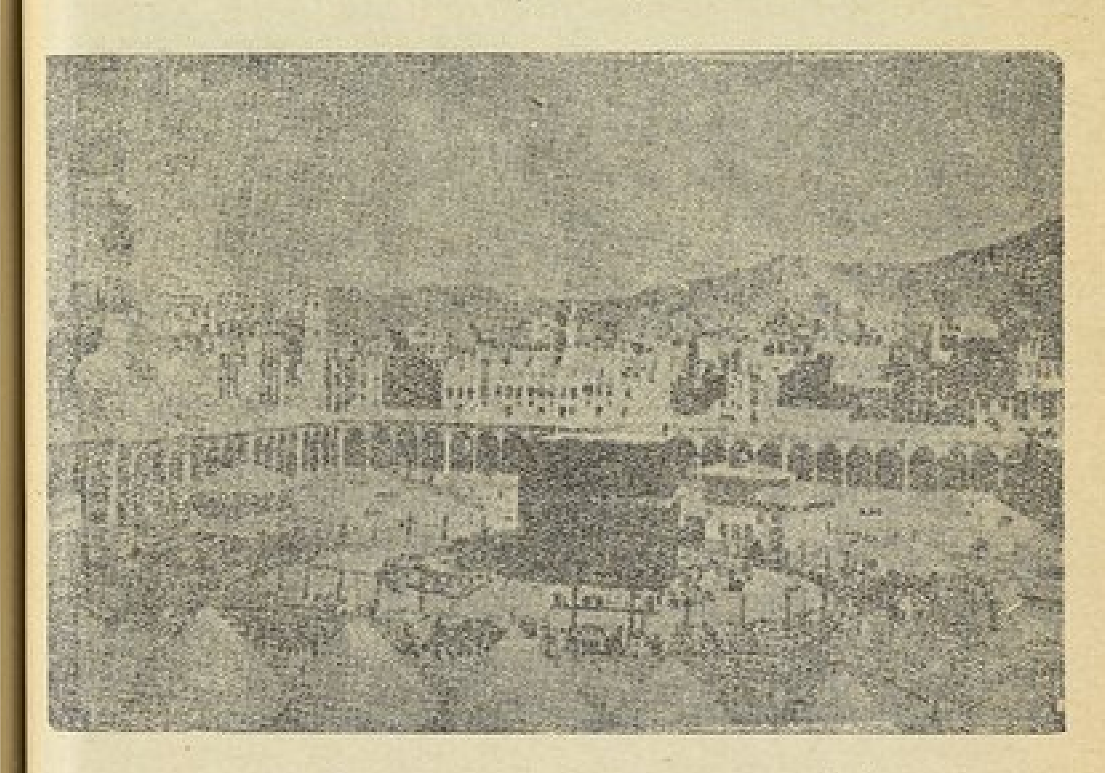
غرور مئات والوف من العلماء . والقواد ، والابطال ، والمحاربين ،

السياسيين ، والرؤساء ، والاسياد ، والدهماء ، يتطاير من الرؤوس تطاير البخار امام العاصفة . الوف والوف من الايدي ترتفع مبايعة .

الوف والوف من الاصوات الجاحدة ، تؤمن وتصيح صيحة دوت في فضاء المسجد الحرام وجبال مكة وشِعَبها .

« نشهد ان لا إله الا الله ، ونشهد ان محمداً رسول الله » .

فيردد جوف المسجد وجبال الحرم : نشهد ثلاثاً .



بيت الله الحرام حيث هدم الرسول الاصنام يوم الفتح وحيث عفا عن مضطهديه وخصومه ، وحيث صلى بلال الرقيق المحرر فوق سطح الكعبة للمرة الاولى في تاريخ العالم الاسلامي - الصلاة التي تتلى تحت كل كوكب عالمي « كل يوم » خمس مرات .

فتفتح اذ ذاك ابواب منازل مكة كلها دفعة واحدة ودار ابي سفيان ويطلّ المختبئون في تلك الدور والمنازل .

الوف من الشيوخ والنساء والاولاد والشبان يظهرون خارج دورهم ويصيحون .

اصوات الالوف البعيدة عن المسجد تتعالى ناقلة الى المسجد والفضاء اللامتناهي « نشهد ان لا إله الا الله ، ونشهد ان محمداً رسول الله » .

ويخرّ الرسول مكبراً حتى تلاصق جبهتـه الارض ويقول بصوته العذب الوديع وبخشوع رسول الله الامين : « الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاعداء وحده » .

واذ ذاك يسمع على ظهر الكعبة للمرة الاولى الصوت الملائكي الرخيم صوت بلال الرقيق الحر مؤذن الرسول يقول :

« الله اكبر ، الله اكبر ، اشهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله ، حي على الصلاة حي على الفلاح ، الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله » .

ومنذ اربعة عشر قرناً لا يزال ذلك التمجيد الالهي ، وتلك الشهادة الطاهرة تترددان فوق المآذن العالمية وفي صدور ملايين من الرجـــال والنساء والشبان والاولاد .

منذ اربعة عشر قرناً لا يزال الملايين تحت كل كوكب سماوي يكررون التسبيح ويرددون الشهادة .

يرددون ويكررون في كل يوم خمس مرات.

ليتذكروا في الخمس مرات شرع الرسول، وحكمة الرسول، وسمو الرسول ، وعفو القوي الحصين القادر ، عفو السوبرمن الاول العالمي :

محمد بن عبد الله

اقطاب العلم — ورأيهم في هذا الكتاب

رأي صاحب الجلالة الملك غازي الاول ملك العراق

حضرة الاستاذ الفاضل السيد لبيب الرياشي المحترم

اتشرف باخباركم بان مؤلفكم قد رفع الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فنال اعجاب جلالته وتقديره وقد اصدر امره السامي بتبليغ شكره على كتابكم الثمين .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

القنصل العام
موفق الالوسي

**

بحث لحضرة صاحب السمو الملكي
الامير عمر طوسون

كتب الكاتبون في هذه الآونة الاخيرة كتبا عدة في سيرة الرسول العربي محمد بن عبدالله صلوات الله وتسليمه عليه لم يسبق ان كتب في العصر الذي عشناه في حقبة صغيرة مثل عددها .

ومن العجب ان جمهرة الكاتبين لهذه الكتب ليسوا متسمين بسمة رجال الدين كما هو الشأن فيما ألف في سيرته صلوات الله عليه من قبل هذه الحقبة وهي ظاهرة جديدة تتفق مع الروح القديم الذي يريده

الاسلام من المسلمين ويحبه الله منهم . فقد كلفهم جميعاً ان يتعلموا وان يعملوا ولم يفرق بينهم في ذلك كما لم يفرق بينهم في غيره من الشؤون . فليس للاسلام بحمد الله رؤساء دينيون ولا آباء روحيون يحلون ويحرمون ويبيحون ويحظرون . وليس هو بالدين المحتكر الذي يجعل التحدث عنه محصوراً في طائفة دون اخرى من اتباعه بل جميع ابنائه سواسية في هذا الامر .

وانه ليسرنا ان تفشو هذه الظاهرة وتشيع وان يعود الاسلام كما كان سمحاً كريماً وان يتناول الكتابة في موضوعاته من يحسنها ايا كان لونه في الحياة وعلمه فيها . فبذلك تظهر عبقرية ابنـــائه وتنمو ثمرات قرائحهم . وها نحن قد رأينا في الكتب التى ألفت في السيرة النبوية اخيراً روحاً جديداً واسلوباً عجيباً ، ونزعة طريفة . ورأينا من أثر ذلك ان اقبل الناس على هذه المؤلفات اقبالاً شديداً درسوها دراسة مستفيضة . وقرأوها بامعان نظر . وتحدثوا بموضوعاتها في المجالس . وتحاوروا فيها وتجادلوا فأفادوا واستفادوا . ولا غرابة في ذلك فلكل جديدة طلاوة ولكل طريء حلاوة . ولعل هذا هو السر في ان الاسلام لم يحذر على احد التحدث عنه بل ساوى في ذلك بين الناس جميعاً .

واكبر ظننا ان مؤلف كتاب « نفسية الرسول العربي » ليس من العلماء الدينيين . فقد لمحنا ذلك بل لمسناه لمساً في كتابته وكتابه . واذا صدق هذا الظن ظهرت المزية التي نوهنا عنها آنفاً . فان في هذا الكتاب لوناً آخر يخالف سائر الالوان التي رأيناها في الكتب الجديدة التي الفت في السيرة الشريفة . ومتى ظل هذا الباب مفتوحاً فستظهر كتب اخرى بالوان اخرى فتتكاثف اغصان هذه الشجرة المباركة وتتكاثر ثمارها ويتناول كل منها ما يشبع نهمته .

اما كتابكم فهو نسيج وحده في السيرة النبوية اذ قصرتم الكلام فيه على نقط في هذه السيرة الحافلة رأيتم ان فيها كل الغناء لمن بحث فيها واستثار دفائنها ليخرج منها جد مقتنع ان نفسية محمد بن عبد الله فوق النفسيات المعروفة لذوي العظمة التاريخية . وانها نفسية مصطفاة ومصفاة وان هذا الرسول الكريم بحق هو «السوبرمن الاول العالمي» . وفي السيرة النبوية نقط اخرى كثيرة تؤدي بالباحث فيها الى هذا المؤدى بعينه . فليكتب فيها الكاتبون كتباً اخرى على غرار كتابكم او بطريقة اخرى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

عمر طوسون

**

وكتب العلامة الجليل صاحب السماحة محمد امين الحسيني رئيس « المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى »

حضرة الاديب الكبير الاستاذ لبيب الرياشي المحترم

تحية واحتراماً وبعد تلقيت شاكراً هديتكم الثمينة وهي السفر النفيس الذي القمتموه عن حياة سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وحللتم فيه نفسيته وملأتموه بذكر مناقبه ومزاياه عليه الصلاة والسلام بما استحققتم عليه الشكر والاعجاب من جميع الناطقين بالضاد . ولقد وفقتم ان تأتوا للعالم العربي بكتابكم هذا بطريقة طريفة واسلوب جديد جذاب . وقد سرني كثيراً نبأ اعتزامكم متابعة البحث والدرس والتحليل واتمام حلقات هذه السلسلة العلمية الفلسفية التي بدأتموها بحياته صلى الله عليه وسلم .

واسأله تعالى ان يأخذ بيدكم ويوفقكم الى بلوغ القصد خدمة للحق والتاريخ . وفي الختام اقدم لحضرتكم خالص الشكر والاحترام .

محمد امين الحسيني

مجلة الازهر وهذا الكتاب

نشرت مجلة الازهر التي يرأس تحريرها رجل العلم الصافي والبيان النضير العلامة الاستاذ محمد فريد وجدي – في الجزء الاول ، المجلد السابع الكلمة الآتية :

نفسية الرسول العربي السوبرمن الاول العالمي

ان الذين يقرأون سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتأملون في خلاله وشمائله ، ويدركون جلالة الاعمال التي قام بها بتأييد من الله له ، يشعرون انهم امام شخصية عالية يريدون ان يقولوا فيها فيعجزهم البيان ويرجون ان يوفوها حقها من الوصف فتضيق لديهم العبارات ، فهؤلاء يجدون في كتاب الاستاذ الجليل لبيب الرياشي المسمى « نفسية الرسول العربي » متنفساً لهم ، فيقرأون فيه ما كان يخالج صدورهم ولا يستطيعون التعبير عنه من عبارات الاكبار والاعجاب ، فهو شعر منثور ولكن ليس معتمده الخيال بل الواقع ومن الواقع ما هو ابعد اثراً في الذهن من الخيال ، واشد وقعاً في النفس منه .

وقد قرظه صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر بكلمات بليغة حكيمة ، وضعها المؤلف في اولى صفحاته وانا لنسجل منها هذه العبارة القليلة الالفاظ الجليلة المعاني ، قال فضيلته :

« ان اخلاصك للحق والعلم ، وتجردك من كل موروث من العقائد والتقاليد ، هو الذي جعلك تخلص الاخلاص كله للنبي العربي صلوات الله عليه ، وتلك فضيلة العلماء ، وخاصة الحكماء ، ولو ان الناس حافظوا

عليهـــا ، وجروا في البحث على منهجهـــا لقل النزاع وضاقت دائرة الخلاف » .

وانا لنكتفي بهذا القدر اليوم واعدين ان نعود الى هذا الكتاب في فرص نرجو ان تكون قريبة لنوفيه حقه ، وننقل للقراء بعض مـا اورده من آيات البيان ، في اسلوبه الساحر الفتان .

السيرة النبوية وكيف يجب ان تكتب

ونشرت مجلة الرسالة « المصرية » الرفيعة البيان والثقافة في عدد ١٦٢ بتاريخ ١٠ / ٨ / ١٩٣٦ للاديب الكبير القانوني الاستاذ ابراهيم الواعظ :

كنت كلما ظهر كتاب حديث عليه اسم « محمـد » (ص) اسارع لاقتنائه ذلك لانني كنت ولا ازال في رغبة شديدة ان اسمع عـــن الرسول العربي العظيم وعن سيرة النبي الكريم شيئاً جديداً . والعامل الوحيـد الذي اوجد فيّ هذا الشعور وحرّك فيّ ذلك الاحساس هو الاطراد الموجود في السيرة المكتوبة ، اطراد يكاد يكون نسخة مطابقة لاصل واحد ومحررة على غرار واحد .

انني لم ارسل كلمتي هذه منتقداً بهـا ما دوّنه الاقدمون في السيرة وصاحب السيرة كلا ، وانما اردت في هذه الكتابة ان اقول للذين تناولوا السيرة وصاحب السيرة بان الواجب كان يقضي عليكم ان تأتوا للناس بحديث جديد عن محمد (ص) بحديث يصوّر للناس محمداً كما هو لا كما اراده كتاب السيرة .

طلعت علينا في الآونة الاخيره عدة كتب كتبت حديثاً لتحليل

شخصية محمد (ص) وما انطوت عليه نفسه من العظمة والعبقرية فمنهم من اصاب المرمى ومنهم من تقارب اليه ، فذهب الاستاذ جاد المولى في كتابه محمد المثل الكامل الى ناحية لم يتطرق اليها الاستاذ محمد رضا في كتابه « محمد » وان هذين الاثنين من حيث الترتيب والتنسيق جديدان ولكنهما من حيث المادة لا يزيدان ولا ينقصان عن السيرة القديمة بشيء ، على ان هناك استاذاً كبيراً يكاد يكون فرداً فذاً في تأليفه هو « مولانا شبلي النعماني » فان هذا العالم الكبير اراد ان يستخرج من السير الموضوعة سيرة مستندة الى ارجح الاقوال وأصح الروايات ويبرز الرسول الامين للناس صورة حقيقية كما هي . فألف كتابه الذي اسماه « تاريخ الاسلام » والذي افرد منه اربع مجلدات في السيرة المحمدية . هذا ولا اريد ان ارسل الكلام في وصف هذا الكتاب جزافاً ولا اريد ان اخرج بالقارىء عن الموضوع والصدد وانما قصدي ان أحث كل من يريد ان يتعرف محمداً (ص) كما هو ان يطلع على هذا الكتاب الذي اوضح شخصية محمد(ص) ايضاحاً وحلل نفسيته الزكية تحليلاً عجز عنها المتقدمون من كتاب السير والمتأخرون منهم .

وقد جرى على غرار هذا المؤلف الاستاذ الكبير محمد حسين هيكل فانه كان قد كتب فصولاً في السياسة الاسبوعية جمعها بسجل اخرجه للناس كتاباً رد به طعن الطاعنين ودحض به زعم الزاعمين وكأني بالاستاذ وقد كتب مؤلفه هذا لمن لا يؤمن بنبوءة محمد مباشرة متوخياً في عمله ذلك الدعاية والتبشير ، ولكنه لم يزد على ما هو مكتوب في كتب السير من حادثات ووقائع .

وانني لا اتفق ومنتقدي كتاب الاستاذ هيكل من انه اغفل كثيراً من الامور المهمة في السيرة وطعنه بانه انكر المعجزات ، والتطرق لهذا

الموضوع يحتاج الى افراد بحث بكامله لهذا ليس من الاصول ان اقول كلمة في ذلك سوى انني اكتفي بالاشارة الى ما اورده الاستاذ هيكل في الطبعة الثانية من كتابه واضيف الى ذلك تعريف الكتاب لجمهور القراء من قبل الشيخ محمد مصطفى المراغي العلامة الاكبر فان هذا التعريف لكتاب مثل هذا الكتاب له اهميته العلمية .

هذا وقد سكتت الاقلام وجفّت الصحف كأن « حياة محمد » التي دبجتها يراعة هيكل كانت خاتمة ما يُكتب في هذا الموضوع . ولكن سرعان ما اتحفنا الاستاذ « الحكيم » بكتابه محمد (ص) فقـــد تفنن في اسلوبه الجديد وجدد في طريقته الفنية ولكنه لم يزد ولم ينقص عما ورد في كتاب السير فلم نكبر له الموضوع وانما اكبرنا له الاسلوب .

ثم كان بعد ذلك ان خرجت علينا الرسالة في عددها ١٤٨ بمقال تحت عنوان «رسالة الازهر في القرن العشرين» بتوقيع الاستاذ لبيب الرياشي المسيحي وبها دعى الكاتب الى ان تكون رسالة الازهر في القرن العشرين المسيحي والقرن الرابع عشر المحمدي دورته الاولى لرسالة الازهر في هذا القرن كالقرن الاول المحمدي فيقابل الدور الاول دور التحنث والتعبد دور تحقيق ودراسة من ينتخبهم الازهر من عشـــاق التضحية وعشاق الحق من طـــلابه فيثقفوا ثقافة عالية ويتعلموا تعليماً سامياً فيتخصص كل فريق بمن وقع عليهم الاختيار بنتيجة الفحص والاختبار باللغات الحية وبكل فرع من فروع العلوم العالية علاوة على ما اتقنوه من علوم القرآن والدين والشريعة والسنة والسيرة واللغة العربية وبعـد هذا فرسالة الازهر ان تكتب سيرة محمد (ص) بصورة تتفق وما جاء في القرآن الحكيم وعقلية الرسول البريئة واعماله الحقة .

وقد ضرب الاستاذ في مقاله امثلة مهمة خطيرة حظر الازهر من ان يقع في مثل ما وقع به غير واحد من متخرجيه .

واذا بهذا الاستاذ بعد ان كتب مقاله هذا في « الرسالة » اخرج لنا كتاباً من قلم مسيحي يحال نفسية محمد بن عبدالله (ص) تحليلاً فلسفياً ويطرح كتابه هذا اطروحة – كمثل اعلى لمن يريد ان يكتب السيرة ، سيرة الرسول الاعظم (ص).

لقد نحى الاستاذ الرباشي ناحية في كتابه السيرة لم ينحها قبله ولا بعده احد من كتاب السيرة . ولقد ظهر للملأ جديداً في حياة محمد بن عبدالله ووجد ضالته حين كان ينقب عن «السوبرمن» فوجده مجسداً في شخصية الرسول الكريم منذ اربعة عشر قرناً .

وقد ابدع الاستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المغربي في تعريف الكتاب بمقدمته المحمدية كما احسن الاديب امين نخله في تقديم الكتاب بمقدمته المسيحية .

وبعد فاني قد وجدت ضالتي المنشودة في كتاب الرباشي وفي مقدمته المحمدية والمسيحية فادعو الازهر ورجال الازهر كما دعاهم الاستاذ الرباشي ان يكونوا جماعة تكتب حياة محمد وسيرة محمد كما كتبها الرباشي .

فعلى هذا النسق ، وعلى ذلك الاسلوب ، وعلى هذه الطريقة ، يجب ان تكتب السيرة النبوية .

في ١ / ٧ / ٦٣٩

المحامي
ابراهيم الواعظ

في المجمع العلمي العربي

شرفتنا جمعية التمدن الاسلامي التي تضم بين اعضائها رجالاً هم خلاصة الشعور السامي والادب الرفيع باقامة حفلة اكرامية في المجمع العلمي العربي خطب فيها العلماء : الاستاذ شاكر الحنبلي ، الاستاذ محمد بهجة البيطار ، الاستاذ زكي الخطيب ، الاستاذ لطفي الحفار ، الاستاذ طه المدور ، الاستاذ احمد مظهر العظمه ، فالمؤلف .

واننا لننشر خلاصة آرائهم الجليلة في الكتاب مصوّرة بقلم ساحر ، بقلم العالم الكبير السيد شاكر الحنبلي وزير المعارف وأحد اساتذة الحقوق النابغين في الجامعة السورية سابقاً ، قال في ختام خطابه البليغ:

هذا ، ولا يسعني بعد ان قرأت كتاب « نفسية الرسول العربي » الا ان اعلن على الملأ عظيم اعجابي بتلك العبقرية النادرة والنفس الطاهرة التي تجرّدت عن الغرض والهوى فأخرجت للناس كتاباً هو الحجة البالغة في موضوعه ، والسحر الحلال في اسلوبه ، والسهل الممتنع في بيانه ، والشعر المنثور في تركيبه واحكامه . ولقد يخيل الى من يقرأ كتاب نفسية الرسول العالمي انه يسبح في عالم غير هذا العالم ، يسبح في الملأ الاعلى ، في عالم الشعر والجمال ، في عالم القدس ، في عالم « ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

نظر الوباشي الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته ، بنظر فيلسوف مدقق فاكبر فيها الفلسفة الاجتماعية ، ونظر اليها بنظر عالم

اخلاقي فبهرته الاخلاق السامية ، ونظر اليهـا بنظر شاعر اديب فانحنى امام البلاغة والاعجاز ، وبالجملة فقـــد افتتن اب لبيب بنفسية الرسول العربي وهام بحبه كما هام كثير قبله ، ولكن هيـــام عظيم من عظماء النصرانيه وحكيم من حكمائها بحب نبي المسلمين له مقـــامه وله روعته ومغزاه ، فقد كان من جهة دليلاً على عظمة نفس لبيب وسمو مداركه اذ لا يقدّر العظيم الا العظيم ولا يعرف الفضل الا ذووه واهلوه ، ومن جهة اخرى كان معجزة من معجزات القرآن واشاراته لانه جاء مصداقاً للآية الكريمة « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى» فقد اقام لبيب برهاناً صادقاً من كتابه على استحكام وشائج المودة والصداقة بين النصارى والمسلمين ؛ فتلك المودة التاريخية التي أشار اليها القرآن ستساعد الشرق المسلم على نهضته في ظل الصداقة الاســـلامية المسيحية . فالاستاذ الرياشي كما انه أتى بالبرهان الناصع على هذه الصداقة فقد غذّاها بنشره سيرة نبي الاسلام وجلائل اعماله التي ادهشت العـالم بلسان المؤرخ المنصف والاجتماعي النزيه فاستحق الثناء والاكبار والاعجاب من جميع المسلمين والمسيحيين. فسلام عليك يا لبيب ورحمة الله ورضوانه ، وسلام على عبقريتك الفذّة وأدبك الجمّ ، وقلبك النقي الطاهر ، ونفسك الكبيرة ، وقلمك النزيه ، وانصافك الجريء ، وجزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيراً ، وأحسن الى جمعية التمدن الاسلامي التي أتاحت لنا هذه الفرصة الثمينة لنقدم الك ما تكنه افئدتنا من الشكر العظيم لاثرك الخالد الذي سيبقى مع اسمك مقروناً بالاعجـــاب كل ما ذكر المسلمون نبيهم العـالمي محمد بن عبدالله وسلموا تسليما فلمثل هذا فليعمل العاملون ومثل كتابك يا لبيب فليكتب الكاتبون والسلام عليكم ورحمة الله .

* *

عن الولايات المتحدة

عالم مصطفى ... هو من عشرة علماء معدودين في الولايات المتحدة الدكتور لطفي مصطفى السعدي ، يعلن رأيه العلمي في الكتاب كما يأتي:

لحضرة الكاتب الفيلسوف لبيب الرياشي

وصلتني نسخة من الكتاب الاول «نفسية الرسول العربي» موسومة بكلمة لطيفة بخط يدك ولو لم يكن لي من المكافأة في اشتغالي بالعلم الا هذه الصلة المعنوية بالذين حلقوا في سموات الافكار لكفى بها مكافأة .

واني لم استغرب كما يظهر من مقدمة العلامة الشيخ عبد القادر المغربي من حيث ان الذي تصدى لتحليل هذه النفسية مفكر مسيحي عربي رغماً مما خلفته العصور البائدة من الاضغان بين الاخوان والجيران. فنظرة واحدة الى اي شرذمة من شراذم الطلاب الاعارب اليوم في الجامعات الغربية وما يتناولونه من الموضوعات لاطروحاتهم العلمية والادبية والفلسفية تكفي للاستدلال على تمزيق السدل التي اسبلها الجهل على اسلافنا وان التراث هو تراث قومي واحد لنا جميعاً على اختلاف المذاهب فهكذا يعرفنا الاجانب وهكذا نحن .

لقد توفقت الى ابعد حد من الابداع باختيارك لفظة « السوبرمن » لتطلقها على سيد العرب ولا اقول المسلمين واخذت في شرح مزاياها ذلك الاسلوب المبتكر الذي لم يسبقك اليه كاتب من قبل سواسية في ذلك المشارقة والمغاربة .

واذا كان الكتاب سيدني المسلمين من المسيحيين نظراً الى انتماء المؤلف الى الاخيرين فذلك فوران موقت ولكن اليوم الذي ستجرد فيه الاديان باجمعها من فضولها وزوائدها وتبرز للناس خلاصتها مجردة اذ لا يعود من فرق بين اهليها، اجل ان ذلك اليوم دان قريب، عندئذ يصير محمد لنا جميعاً وبالصورة التي ابرزه فيها لبيب الرياشي .

سأعود الى دراسة الكتاب مرات اذا سمح لي الظرف وسأفضي اليك بما استخلصه منه واني سعيد جداً بالتعرف اليك وبهـــذه المناسبة التي طلعت فيها على العالم العربي بأثر من أنفس الاثار التي اودعت لغته امنا كلنا ، وختاماً اقبل شكري الجزيل وولائي الخالص .

لك باخلاص

لطفي مصطفى السعدي

وكتب الينا العلامة الورع الشيخ حبيب آل ابراهيم

الرسالة التي تقرأ

ايها اللبيب الفيلسوف

عرفنا كتابك « نفسية الرسول » (ص) من نفسك نفساً طارت بين خوافيها والقوادم، فلمست كثيراً من الكائنات، وابصرت ما في الارض ونظرت في الآفاق، ورأت ما في هذا المحيط من عالمها، واستقرأت نفسيات كثير من ابطال العالم وقادة الامم حتى عادت متضلعة باحوالهم، سابرة غورهم في اقوالهم وافعالهم، بصيرة بكثير من شؤونهم.

وانت مع ذلك كله تجدها في اول سيرها، ومقدمات عملها وبدء طيرانها، حينما نظرت الى شيء من هدى محمد صلى الله عليه وآله، وحينما لمع لك برق من بروق سناه المتألق، وعندما لاح لك من بعيد نور هالته المنتشر.

همة شماء، ونفس عبقرية، وادب ضاف، وفكرة جياشة، وعلم فيّاض، ذلك انت ايها اللبيب، وذلك ما اقرأناه منك كتابك الفذ.

فلتكن ايها الهمام اول السابقين لهـذا المطلع واول الصاعدين من ابطال الشرق لهذا المرتقى.

لقد كنت كلما نظرت فيما كتبه فلاسفة الغرب وادباؤه في محمد صلى الله عليه وآله، مثل « كارليل » ونظرائه ممن كتبوا فأجادوا، أعجب لتأخر الشرق ورجاله، وعلى الاخص العرب عن ذلك، مع انهم هم به احرى، وبالسبق والتقدم اليه اجدر.

وهل يصح ان تؤثر العصبية على رجل العلم وبطل الانصاف ؟ وهل العصبية الا قيد يجعل المرء نفسه به مغلولا ، وحبس يجعل الانسان بصره به محدودا ؟ فان كان ولا بد من العصبية فلتكن لمكارم الاخلاق ومحامد الافعال .

ولئن تكن الاغراض والميول هي التي تمنع كثيراً من الناس عن القول الحق والاعلان بالصدق فهل يصح ان يكون هذا في رجال كونهم الادب ، وصفاهم العلم .

وهل يحسن وقد ارتقى علماء المادة وفلاسفة الطبيعة الى هذا الأوج ، فاكتشفوا وحللوا ، ان يبقى علماء المعنى وحكماء الاخلاق في هـذا الحضيض ؟ وهل اقحط العرب من ذلك واجدبوا ؟ ذلك ما كان يدور في خلدي ويجول في مسارب فكري الى ان اتاني كتابك ، وحلّ في مكانه من قلبي كلمك ، حينئذ رأيت ان العرب اوشكوا ان يتقدموا ورأيت ان اللبيب في الرعيل الاول منهم ، فليهنك السبق وليفخر بك العرب ، ولك الشكر وجميل الذكر من المسلمين عامة ، وخاصة من المهاجر العاملي .

حبيب آل ابراهيم

لبيب الرياشي

فلسفة الدين الإسلامي

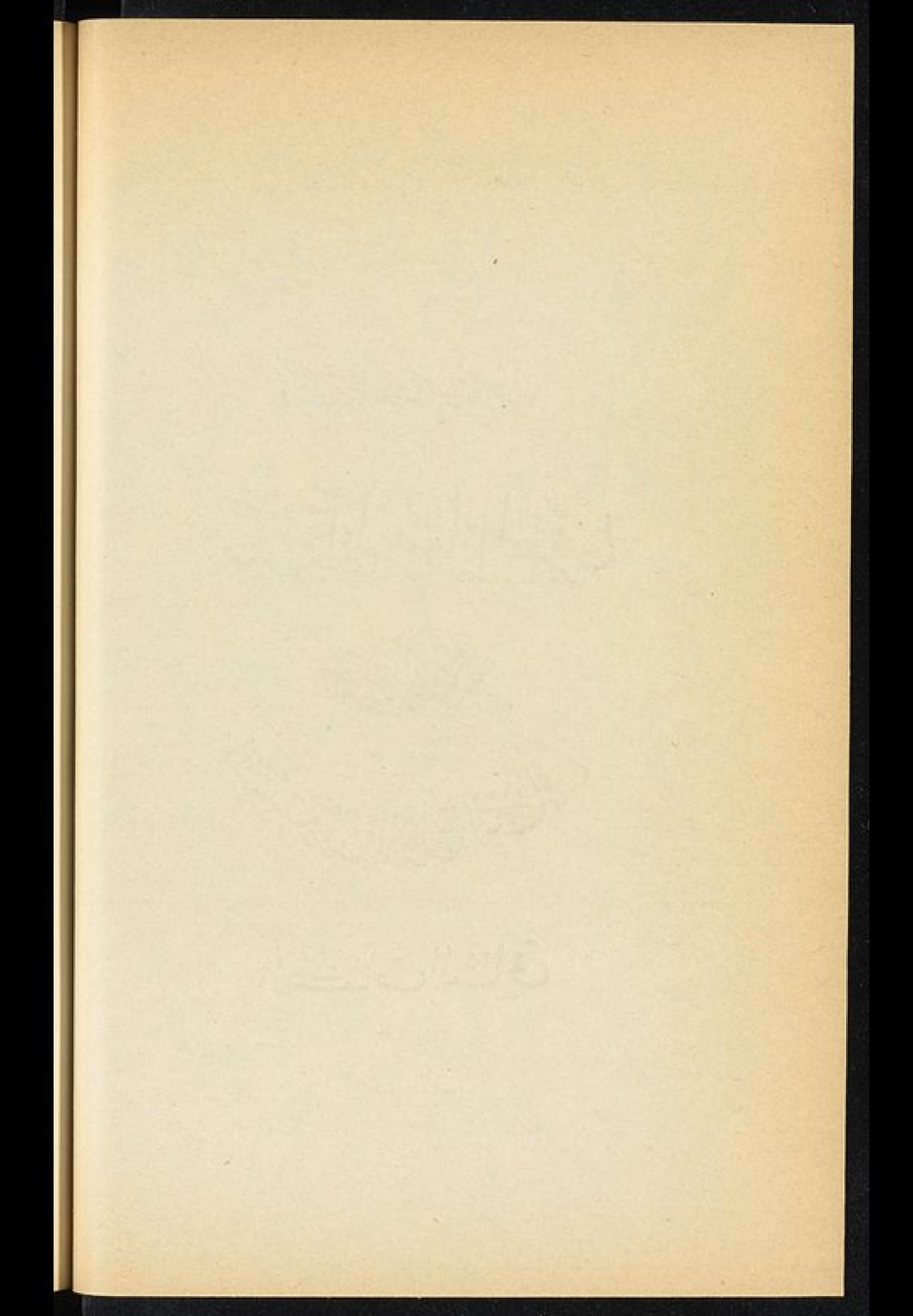
نفسية الرسول العربي

محمد بن عبد الله

السوبرمن الأول العالمي

الكتاب الثاني

الطبعة الرابعة



القطب الاعظم

واحبار العلم في العالم العربي

والامبراطورية العربية

وهذا الكتاب

الادباء ، والشعراء ، والعلماء ، والمفتنون ، والمفكرون ، هم – في الامم – منارات الوحدات الامية . وهم في الشعوب ، موصل الاخاء القومي الايجابي. الموصل الجامع الشامل ، وعلى أسس تفاهم هؤلاء الائمة الاحبار وجهودهم ، وتآلف وحداتهم ، تؤسس القوميات الشعبية ، فالجامعة الانسانية .

على هذه القاعدة الشاملة ، أسست صروح الامم ورفعت ، والامة العربية في مقدمة الامم العالمية التي عملت بها في الماضي ، فبنت مجداً ، وحصّنت حقاً فحكمت حكماً عادلاً ، اماً ، بعد ان كوّنت نفسها بتآلف احبارها – امة .

ونحن بعد لاي – رأينا ان نسمع العرب كافة ، والامم جميعاً لمناسبة صدور كتابنا الثاني هذا ، اجماع العالم العربي على تلك القاعدة ليشاهدوا جميعاً التفاف احبار العرب على قطب العرب .

اجل ، احبار العرب العلماء الحقيقيين ، نقصد ، لا احبار الكهان !.

احبار العرب الحقيقيين الذين نستصبح بضوء عقولهم في مقاطع الحق

ومفاصل الصواب ، لذا اقترحنا على اعلام الطوائف العربية الكبرى واحبارها الطاهرين ، ان يعلنوا رأيهم في القطب الاعظم ونفسيته ، فوردتنا الاجوبة التي تعترف برفاعة الرسول العربي كما تعترف انه القطب الاعظم ، وانه الامام الاكبر واننا حوله ندور فهي تعلن اذن ان الشعب العربي الذي يدور حول قطبه فاحباره اصبح وحدة قومية متآخية . واصبح وحدة سياسية شاملة ومما لا ظن فيه ولا ريب ان الوحدة العلمية والادبية هي اساس الوحدة السياسية كما هي ركنها ، وكما هي صرحها ...

واننا ننشر مقدمات العلماء الاعلام متسلسلة وفقاً لتاريخ صدورها من مصادرها .

رسالة المقدمة – الشيعية المحمدية

للامام الاكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، مرتبة سامية واجلال مصون في العالم العربي .

عشرون مليون يعملون بفتواه ، ويستضيئون بنبراس علمه .

اجل: يعمل بفتواه ويستنير بعلمه عشرون مليون من الشيعيين المحمدين المنتشرين في العراق ، وايران والهند ، وسورية ، ولبنان ، والمهاجر فملايين من غير الشيعيين المحمدين .

هذا الامام الجليل يبدي رأيه في الكتاب ويعلن رفاعة الحق التي تجسدت بشخص قطب العرب .

قال حفظه الله في رسالته :

بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد والمجد

من النجف الاشرف
٢٥ محرم ٥٦

رجل الحق والصدق الحبر المتبحر لبيب الرياشي .

وصلتني هداياك الثمينة واي هدية أنفس من هدايا العلم والمعارف من اهلها والى اهلها . ثم وردني كتابك المؤرخ في ١٠ الجاري فاخذت مني تموجاته المكهربة مأخذ انوار الكهرباء من الليلة الظلماء فحيا الله عواطفك الكريمة ، وشعورك الفياض ، وعلمك الجم ، وجعلني الاله القادر عند حسن ظنك بي . وقد قرأت كتابك ليس مرة ولا مرتين ...

فوجدتني كما قال النبي العربي (ص) في احدى كلماته البـــاهرة : تقول الملائكة لقاريء القرآن « اقرأ وارق » واحسبك تعرف بداهة هـذه الجملة واعجازها وما اشتملت عليه من انواع البلاغة . واني وان كنت ملبياً نداءك فيما طلبت من كلمة او مقدمة وقد ارسلها اليك طي هـذا الكتاب ولكني اعترف انها جهد المقل وان ما جئت به يستحق مـــا كتبناه بل اكثر فابعث اليّ ايها الحريت [1] باقي الملازم وتابع ارسالها اليّ فانك تبعثها الى من يقدرها حق قدرها ويقوم لك بواجب شكرها ونشرها ولا زلت موفقاً لامثالها والسلام .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) الدليل الحاذق في المهامه والقفار (المؤلف)

[illegible] الأوجه [illegible]

[illegible]

[illegible] (البيت) [illegible]

[illegible] (الحضارة العربية) [illegible]

[illegible]

[illegible] الكتابة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حقائق النبوة [illegible] التنزيل [illegible]

[illegible]

[illegible] العربي وتاريخ الإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في (البيت) [illegible]

أنت رجل الحق والحق فوق الإسلام والنصرانية [illegible]

والنصرانية [illegible]

في (البيت) قل الحق، واكتب الحق، [illegible] الحق

[illegible]

[illegible]

رجل الحق

(وما ينطق عن الهوى ـ ان هو الا وحي يوحى)

ان كان يصح او ينبغي ان تقال هذه الآية الكريمة لاحد من البشر بعد الرسل والانبياء فحق ان تقال لك «يا لبيب» فيما جئت به من كتابيك النفيسين ، نفسية الرسول العربي » و« فلسفة الدين الاسلامي » ويحق ان نقول لاشقائنا « نصارى العرب » ما ضلَّ صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى . وان كان يحق لهـــذا العصر ان يسمى عصر النور ، عصر الاختراع ، عصر الابداع فان من موجبات استحقاقه ـ ابداعك في الكتابة ، واختراعك هذا الطرز من التحليل واني لأجد نسبة ما كتبت الى ما كتبه الغابرون نسبة مخترعات هذا العصر من السيارة والطيارة الى الابل والجمال واخواتها . وكما أجد براعة الفن وبداعة الاخـــتراع ومعجزة العلم في الهاتف والحاكي والراديو والكهرباء فاني لأجد مثل ذلك او ما يصاقبه فيما استخرجه ذهنك الوقاد من درر حقائق النبوة وغامض دقائق الوحي والتنزيل ونكات حوادث التاريخ . غاص فكرك الماهر في قصبة يراعك الساحر في اعماق لج سيرة النبي العربي وفلسفة الاسلام فاستخرج منها تلك المعاني الناصعة والحقائق اللامعة والبراهين البارعة ـ التي لا تدع مجالاً لشك ، ولا مدخلاً لريب .

وأعجب ما يعجبني منك، تلك القومية الصحيحة ، والعروبة الصميمة التي تحلى بها ارواحنا ، وتنتعش بها ضمائرنا ، فأزهر الله تلك الدوحة التي

انت احد ثمارها ، بل أعبق ازهارها ، ونحن جميعاً اغصان تلك الدوحة وثمار تلك الشجرة الطيبة المباركة .

... فيا «لبيب» لست انت عندي بمسلم ولا نصراني بل أنت رجل حقاني . انت رجل الحق ، والحق فوق الاسلام والنصرانية . وكل من الاسلام والنصرانية تتفاخر في الانتماء اليه ، والاعتزاز به .

... فيا « لبيب » قل الحق ، واكتب الحق ، وجاهد في سبيل الحق تكن رجل الحق ثم كن بعد كيف شئت مسلماً او نصرانيـــاً والسلام عليك .

النجف الاشرف ٢٥ محرم ١٣٥٦ — ٩٣٧

من ابيك الروحاني

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

قرأ الحكيم الغواص على دقائق المسائل وغوامضها الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي مقدمة الامام هذه ولما وصل الى قوله « والحق فوق الاسلام والنصرانية» خشي ان يستوحش المتعصبون البيان فعلق ما يأتي:

ليس المراد هنا بالفوقية — الفوقية المادية بل الفوقية المعنوية لان الحق مستعل على الاسلام والنصرانية مسخرهما لارادته في سبيله فهو روحهما وهما به قائمان — كما تقوم الاجساد بالارواح .

العربية النقية المصفاة ، والشعور الرقيق العـــذب ، والادب الغض النضير .

هذه الميزات الوضاءة يحس بها القارىء وهو يطالع مقدمة امير شعر ، وامير نثر ، وامير اخلاص ، مقدمة امين ناصر الدين التنوخي الذي يعبر عن العقيدة الدرزية في الرسول العظيم . كما يحس القارىء بتلك الميزات وهو يطالع رسالة الامين الذهبية .

قال الامين في رسالته :

صفي الحقيقة ونجي الفلسفة الكاتب الحر الاستاذ لبيب الرياشي المحترم يميناً — لقد اتخذت عند قومك العرب يداً بيضاء يشكرهـا لك أقحاحهم عامة والمحمديون منهم خاصة . وما تلك اليد الا كتابك الجليل « نفسية الرسول العربي » الذي بذذت باسلوبه الفلسفي البارع كل من أجرى في هذا الموضوع يراعاً وأيدت بقواطع حججه ونواصع براهينه حقائق اوشك الشك ان يلقي عليها قناعاً . اما حسن ظنك فقـد كلفني مـا شق عليّ من معالجة موضوع له حفواؤه اي المتخصصون بـه من الجهابذة وما انا منهم وقد وصلني كتاباك الاول والثاني ولدي ثلاثة كتب في اللغة أعني بتنقيح بعضها وتبييض بعضها الآخر ولكن مع علمي بقصر باعي في مثل هذا البحث وما اكتنفني من شواغل لا مندوحة لي عنها لم أر بداً من النزول على اقتراحك فأنشأت الكلمة الموجزة التي طويت عليها هذه الرقعة وهي جهد المقل فان راقتك فذلك ما ابتغي ، والا فاطوها على غرّها غير ملوم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

في ١٨ نيسان سنة ١٩٣٧ المخلص

امين ناصر الدين التنوخي

مقدمة الامين

اقترح علي نجي الفلسفة، الغواص على حقائقها : الاستاذ لبيب الرياشي مقدمة لكتابه القيم الموسوم بـ « **نفسية الرسول العربي** » **محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام** ، فكدت استعفيه بما سأل لتوعر المسلك على عاجز مثلي ، لولا ان حرصي على التيمن بذكر الرسول الكريم ، وتأملي شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ، سهّلا عليّ الصعوبة واجريا بيدي القلم ، والا فماذا يقول الكاتب في النبي المرسل ، الذي اثنى عليه ربه في الكتاب المنزل ، وبماذا ينعت من جعل الصحراء مهبط الوحي ومنبعث الهدى ، وسن للعرب وهم في جاهليتهم سبلاً من الخير لم يعرفوها ولا عرفها آباؤهم في ما مضى ، وأوتي من الصبر على المكاره ما تجلت فيه عظمة النفس ، ومن الحكمة في تصريف الامور ما اتى على كل خطب ، ومن الثبات في مواطن الخطر ما هزىء بصروف الدهر ، ومن الحلم – والجهلاء في سفههم ماضون – ما ملك على مناوئيه مشاعرهم ، ومن الهيبة ما كسر من نخوتهم واقام من صعرهم ، على حين كانوا يتربصون به كل دائرة ، ويبغونه كل غائلة ، ثم لم يلبثوا ان آمنوا بعد شركهم ، واهتدوا بعد ضلالهم ، فاذا هم اعوان الرسول يقتحمون دونه الغمرات ، واذا الاصنام محطمة والبيت حافل بالمؤمنين ، والجزيرة مشرقة بنور ربها يتردد في جنباتها ذكر مبدع الكائنات .

ومنذ ذاك بدأ نور الايمان يستطير في المشارق والمغارب استطارة البرق الوهاج في الليل الداجي ، وشرع اهلوها يدخلون في دين الله

افواجاً ، حتى اصبحوا في يوم الناس هـــذا يعدون بمئات الربوات ، ذلك بانهم آنسوا في شريعة الرسول عدلاً يتساوى امامـــه الرفيع والوضيع ! ورعاية للحق يأمن بها الضعيف صولة القوي ، وتسامحاً لا اكراه معه ولا تعنيت ، ومزية انسانية لا يفضل معها احد على آخر الا بالتقوى وصالـــح العمل ، والتوفر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

**

وبعد فاي امرىء صادق الحس رصين اللب لا يكبر شأن الذي ربي يتيماً ونشأ امياً وعاش فقيراً ، بـــين قوم غلبت عليهم عنجهية الجاهلية يؤذون من لا يتابعهم على آرائهم ويتنكرون لمن يجادلهم في معتقداتهم ، ويأبى عليهم الاباء المتأصل في نفوسهم ، ان يعطوا القياد وهم امجاد الغارة وحماة الذمار . ثم لا يلبث ذلـك الفقير الامي ان يمسي الانسان الكامل ، يصطفيه ربه لرسالته الى اهل الدنيا ، وينزل عليه القرآن وهو المعجزة العظمى ، فيطيعه من عصى ، ويرهبه من عتا وطغى ، ويتحاماه صيد الملوك ، وتتضاءل امامه الجبابرة الشم الانوف ، وهو على عظمة شأنه لا يذهب بنفسه مذهب العجب ، ولا ينزو به بطر ، وكلما سفهه غيره ازداد هو حلماً ، وكلما تبذخ ذو خطر ازداد هو تواضعاً ، لعمري ان في ما تقدم لمعجزة تأتي بعد معجزة القرآن ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فما اخالني الا مصيبا اذا قلت ان تعريف كاتب (نفسية) الرسول العربي كما هي لمما يشق عليه مهما يكن عبقرياً متقصياً في البحث مستجلياً غوامض الامور ، لان تلك (النفسية) اشبه بالشمس اذا اراد الوصاف ان يصفها لم يستطع ان يقول الا انها كوكب مستدير وهاج النور ذو

حرارة ، يشرق ثم يغرب ، وان كان الهرامسة اي علماء الفلك قد زعموا انهم تعرفوا كنه الشمس ومبلغ ضوئها وحرارتها وكل ما يتعلق بهـا كأنها كرة تتلقفها ايديهم .

واذا كان الشاعر كما يقولون لا يعرفه الا شاعر مثله ، فالنبي اولى بالا يعرفه الا نبي مثله ، على ان من الممكن ان يستدل على (نفسية) الرسول العربي صلى عليه وسلم بمناقبه التي لا يفي بنعتها بيـان ، ولا يجهلها الا الذين ختم الله على قلوبهم فكانوا كالانعام بل هم اضل سبيلا ، وبحديثه الجامع نوابـغ الكلم ، وبواهر الحكم ، وابلغ العظات ، واشرف الاغراض الدينية والدنياوية ، وسبك منـه قوله « انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم » و « اياك وقرين السوء فانك به تعرف » و « الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله » و « اعمل للآخرة كأنك تموت غداً واعمل للدنيا كانك تعيش ابداً » و « استعينوا على حاجاتكم بالكتمان » و « اياك والطمع فانه الفقر الحاضر » و « لا دين لمن لا عهد له » و « من عرض نفسه للتهمة لا يلومن من اساء بـه الظن » » و « بروا آباءكم تبركم ابناؤكم » و « الظلم ظلمات يوم القيامة » و « من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فقـد كملت مروءتـه ووجبت اخوته » .

هـذا بعض ما علق بالذاكرة من الحديث الشريف دالا عـلى تلك (النفسية) القدسية التي لم يأتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

* *

ولقد عرف كثير من علماء اوربة الافذاذ فضل النبي العربي فقدروه

حق قدره ، وذكروه بما يجب ان يذكر به الانسان الكامل الذي ارسله ربه رحمـــة للعالمين ، البعيد عن مواطن الشبهات ومعترك الظنون ، منهم العالم الفرنسي اميل درمنغهيم الذي قال ما معناه ·

« ان لمحمد نفسا طاهرة قوية المنهج اتصلت بالحقائق فاستيقن ان الدين ليس شيئا مبنيا على تأمـل مجرد ، ولكنه حقيقة تشعر بهـا نفس الانسان فيتصور الله كما يمثله له شعوره بالحقيقة الربانية ، ويسلم الى الله نفسه ، هذه حقيقة الاسلام » .

ومنهم لامرتين الذي قال :

« ان محمداً لم يكن الها ولكنه كان فوق الرجل » اي كان نبيا .

فاذا كان علمـاء اوروبة ـ والاوربيون لا يثبتون شيئا الا بعد البحث والتمحيص ويزدرون كل شيء ليس اوربيا ـ قد اقروا بفضل الرسول العربي الكريم ولم يجادلوا في عظمته وكماله ، فحق على العرب طراً ان يفاخروا به امم الارض ، فما محمد الا عنوان فخرهم ، الموشي بفضائله رداء مجدهم ، الذي أعزهم الله ببعثه منهم ، واذا كانت العجم كما قال الامام الجاحظ « تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون » فما اجدر العرب بان تقيد مآثرها بالاجماع على المفاخرة بالرسول العظيم ، لانه اذا كان نبيا للمسلمين ، فهو ـ العربي الصريح ـ وصلة النسب أمتن من صلة الدين .

اما الاستاذ الحفي مؤلف هذا الكتاب فما به حاجة الى ثناء مقرظ ما دام كتابه لساناً بفضله ناطقاً ، وبسبقه اقرانه الى هـــذه الغاية

المثلى شاهداً ، جزاه الله خير مـــا يجزى به كاتب يرى التنويه بمفاخر قومه فرضاً واجباً ، ويقول الحق لا مداجيا ولا ماكراً .

كفرمتى – لبنان في ١٧ نيسان سنة ١٩٣٧

امين ناصر الدين

الجامع الازهر

مكتب شيخ الازهر

المقدمة المحمدية السنية

لرأس علماء العرب

فضيلة الامام الاكبر الخالد الذكر
الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر

حضرة الاستاذ المحترم الشيخ لبيب الرياشي

قرأت الاوراق التي بعثت بها الي من كتابك الثاني «نفسية الرسول العربي» ، وقد اعجبني منه حملتك الصادقة على اتباع الرسول الاكرم صلوات الله عليه حيث لم يقوموا بما هو واجب عليهم علمياً ، ودينياً من البحث . والتنقيب عن اسرار كلمه ، وحكمه ، واخلاقه الطاهرة ، واسرار عظمته ، واسرار شريعته .

ولا يزال التوفيق قرينك في هذا الكتاب كما كان قرينك في الكتاب الاول . تلتقط الدور وتجلوها فتظهر بهاءها للناظرين فيكون صفاء جوهرها ونقاؤه كافياً في الاقناع والايمان بدون حاجة الى تكلف المنطق ونظريات الفلسفة .

لقد سدد الله خطاك وادم توفيقك ولك تحيات تليق بقدرك .

والسلام عليكم ورحمة الله .

٢٧ ابريل ١٩٣٧

محمد مصطفى المراغي

المقدمة المسيحية

كاتب المقدمة المسيحية الدكتور نقولا فياض خطيب ذهبي الفم ، وكاتب خصب البيان ، وعربي صادق العروبة وهل من برهان رفيع على طهر عروبته من نشيده :

الشرق شرقي اين لاحت شمسه
ودم العروبة في دمي وعظامي
لي في هوى وطني كتاب خالد
يبقى على المكتوب من ايامي
سجلت نصرانيتي في متنـــه
ونشرت بين سطوره اسلامي

قال الدكتور :

ما اكثر الكتاب حين تعهدهم مرداً ، وما اقلهم عندما تبحث فيهم عن الجرأة في الحق . والصدق في الرواية ، والدقة في البحث ، وقـــد وجدت هذه المزايا مجموعة في نفسية الرسول العربي » فان المؤلف خرج عن الطريق المألوفة سواء في اسلوبه او في خدمة الحقيقة فرسم صورة رائعة فيها من عذوبة الشعر وسمو الفلسفة وسحر البيان ما يأخذ بالالباب ويترك القارىء في شبه غيبوبة من السكر الروحاني .

هو لم يطرق موضوعاً جديداً غير انه عرف ان يستخرج كنوزه المخبأة ليعرضها في شكل جذاب ، ويكشف للفكر آفاقاً جديدة للتأمل والاستعبار ويخلق في النفس شوقا جديداً الى مطالعة هذا الماضي المجيد

من اخلاق امة عظيمة اشتهرت باحترام الحق واجلاله والخضوع له وكان لها من تسامحها وعدلها وعمرانها مـــا سادت به العالم وذهبت مثلا في المعمور .

وقد تعدد المؤرخون في كتابة ثورات الشعوب ولكن المجال لا يزال فسيحاً للكلام عن الثورة الكبرى التي اثارها صاحب الرسالة الاسلامية على الظلم والعبودية وحب الاثرة والعادات الوثنية . ثورة طاهرة بما علم فيها من الرحمة والعفو . مقدسة بما وضع فيها من شرعة الخالق الاحد ، نافعة بما غذاها من العلم وحب العلم . غنية بما اورثها من صبر الجهاد وقناعة النفس .

واني ارى ان قراءة « نفسية الرسول العربي » لا تنحصر فائدتهـــا بالمسلمين بل تتعداها الى ابناء الطوائف الاخرى لان كثيراً من الناس لا يزالون على جهل مطبق لحقيقة الديانة الاسلامية ففي درس فضائلها والاطلاع على اخلاق صاحبها افضل وسيلة لانارة الاذهان وتقريب القلوب وهدم معاقل التعصب الذميم وتعبيد الطريق الى الاخاء العام . واذا لم يكن لمؤلف هذا الكتاب الا انه خطا الخطوة الاولى نحو هذه الغاية السامية فكفاه عند الناس فخراً وعند الله اجراً .

في ١٢ – ٥ – ١٩٣٧

الدكتور نقولا فياض

تحليل نفسي *

للعالم المتبحر الشيخ احمد رضا

عضو المجمع العلمي العربي

النبطية في ٦ ص سنة ٣٥٦ في ١٧ / ٤ / ٩٣٧

حضرة الفيلسوف العربي الكريم

كنت أشعر وانا اقرأ كتابك بما يتجاذبك من عاطفتين موجبة وسالبة يبعث اليك بالاولى صفاء جوهرك وطهارة نفسك من ادران المجتمع فتتجرد للحق: ولا يصل بالحق طالبه ما لم يجرد له نفسية ويرجعها الى فطرتها الاولى المطهرة من كل تأثير خارجي والحق حق لا يصدأ مهما تكاثفت حجبه ولكن هذا التجرد صعب مستصعب بعد تأصل العادات والتقاليد التي لها كل الاثر في تكيف النفس واتجاهها الاجتماعي. وللوراثة القسط الوافر في هذا التأصل ولهذا كان لا يصل الى هذا التجرد ولا يتمتع بنعمته الا كبار العقول الذين غلبت عقولهم عواطفهم وقويت اراداتهم على نفوسهم وجاهدوا في سبيل تطهيرها من هذه الجراثيم وتصفيتها من هذه الكدورات الاجتماعية. تلك هي مرتبة الفلاسفة الذين ينظرون الحقائق كما هي غير مغشاة بغشاوة ولا مموهة بعادة او تقليد.

يذكرني وقد وصلت الى هنا ما كان يغشى حقيقة « محمد » من

تمويهات وتخرصات خلقها في الغرب التعادي الديني المنبعث من التعادي السياسي وحب الاستئثار بالسلطة حتى قام بعدهم فلاسفة هالهم ما رأوا من طمس الحقائق ورواج الاباطيل حول هذه النفسية العالية وما كان لها من آثار غير صالحة في نفوس العامة والدهماء فازاحوا تلك الاباطيل بقدر ما وصلت اليه ايديهم واظهروا الحقيقة مجردة بعض التجرد فظهر شعاع من لألائها الساطع المنير في تلك الظلمات القائمة .

ويبعث اليك بالثانية ما بلي به هـــذا المجتمع البشري من تقاليد موروثة اسسها في النفس ونماها ذلك العدوان في الدين الذي كان من اعظم ادواء الشرق بل والغرب في القرون المتوسطة والذي هو وليد السياسة فغطى الحقائق حتى نظر اليها الابناء نظراً لم ينفذ في حجب تلك النزعات التقليدية فتوهموها الحقيقة بعينها وعملوا لها كما رأوها وهي التي تجردت عنهـــا بفضل غلبة عقلك وتطهيره من ادرانها « فندمت ندماً عصبياً ساحقاً على جهلك (فيما مضى) نفسية الرسول العربي والامـــام الاعظم العالمي » فلم ندرس تلك الحيـــاة وهاتيك النفسية ولو تفهمت جوهرها واستنرت بنورها. منذ ربع قرن للامست الحق معشوق عقلك ودمك وعصبك وأمنية نوالك ونائلة أية ذرة من ذرات جسمك واية لمحة من لمحات نفسك » .

ثم استيقظت بك العصبية الجنسية القومية بعد ان تجلت لك الحقيقة ظاهرة وهي حقيقة هذا السوبرمن الاول العالمي فانفت ان يغمط حقه فنهضت هذه النهضة المباركة المشكورة بهذا الاسلوب البديع الذي لم تسبق اليه في هذه النفسية العالية .

نعم تجاذبك قطبان كهربائيان سلبي وايجابي فسطع من تجاذبهما هذا النور البهي في كتابك نفسية الرسول العربي وقد اثبت به طهارة نفسك

وتجردها وان عقلك الكبير لا يستر عنه الحقائق ما يتكاثف من حجبها
وكذلك هي عقول كبار الفلاسفة فاهنئك بهذه المرتبة العالية واقدم
اليك شكري واحترامي .

احمد رضا
عضو المجمع العلمي العربي

متن الكشافة

انها لفاجعة – فكرية – اليمة . وانها لمصيبة – ادبية – عظمى – ان يموت المفكر الانساني الابي – الطامح – الى البسطة في العلم . العامل على استيضاح معضلات الحياة – بضوء الحكمة ، نبراس العدل ، وهدى الحق .

انها لفاجعة فكرية وادبية – حقاً – ان يموت ذلك المفكر ، الطامح ، الانساني ، الابي – قبل ان يدرس « نفسية الرسول العربي السوبرمن الاول العالمي »

محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي

وقبل ان يستجلي عقله – ظاهر تلكم الشخصية وباطنها . وقبل ان يتوسم – جلائلها ، ودقائقها ، وعزتها الغلباء ، وقبل ان يتسم بسمتها ، ويتنبل بنبلها ويتحدّى خيرية الحق التي تجسدت في خلقها ، وخلقها – فذللت العقاب ، وروضت الصعاب ، وهدمت معاصريها وانسال الاجيال ، والاعقاب .

انه لاغراء - بجوهر العلم . غرار ، وانه لاستنزال عن محجة الرشد دلاس - ان نسمي دارس الادب او العلم ، او الثقافة ، او الاصلاح البشري ، او التاريخ الاجتماعي او الشعر النفسي ، او التشريع العائلي ، فالاجتماعي فالامي . او القيادة الصالحة ، او الملكية الشريفة او الاخلاق والفلسفة الى آخر هذا اللوح الحيوي الرضواني - مهما بلغ دارس تلك العلوم او الفنون او الزعامات او بعضها - مهما بلغ من تصفح كتبها ، وتدبر مؤلفاتها،وامتحان غورها، وحفظ سطورها وكنه تلك السطور.

اجل . انه لاغراء واستنزال ان نسمي الدارس ذاك وان - نال شهادتها - اديباً بحق . او مثقفاً عالماً بحق او قائداً مكهرباً الجنود - بحق . او ملكاً محفوظ السلطان مدبر الامر بحق . او قاضياً بيـــده ميزان الحق - بحق . او مشترعاً عائليا فاجتماعيا فاميا - بحق . او شاعراً نضير الشعور . خصب النظم والبيان - بحق . او عالم اخلاق - بحق . او فيلسوفاً حكيماً - بحق - أذاً لم يكن الدراس قد تبحر في درس حياة الرسول العربي وسيرته . ونفسية الرسول العربي واعماله واقواله . واستبطن احاديثه واحكامه ، واعماله وسنته وشرعه وصفاء شعوره ، وتقصى دقائق هاتيكم الحيـــاة ، وقدسية تلكم النفسية - فوقف على اغراضها ، ومحّص حقائقها، ولقح دماغه، ودمه، واليافه ،

وشعوره ، وقواه المفكرة — من دماغ الرسول العربي ودمه والياقه، وشعوره ، وقوى الرسول العاقلة ، النبيلة المطهَّرة والمطهِّرة .

ان من لم يفعل ذلك التلقيح لا يدرك كنه العلم الذي شاء التخصص له ادراكاً حقاً .

برهاننا في وزنات كتابنا الاول ، وفي صلب كتابنا الثاني هذا .

حجتنا عندما ينتصب القسطاس ، وتوزن مـــادة العقول الذرية الجوهرية . ويجلس عظماء الامم ، وعباقرة الرجـال ، وتعرض اعمالهم كلهم ، في كفة، ويجلس الرسول العربي وتعرض اعماله في الكفة الثانية.

عندما ينتصب القسطاس — حقا ، ويتبين لكل فهيم منصف، وحكم عادل موهوب ، ان من نسميهم عبقريين وعظماء ، وليسوا في الكفة المقابلة سوى اقزام وصعاليك وهم يوزنون مـــع الرسول العربي «السوبرمن» الاول العالمي .

محمد بن عبدالله

اول اذار سنة ١٩٣٧ لبيب الرياشي

بعد ان تتفهّم من الكشافة يا قارئي والكشافة ـ اعلم ان الرسول العربي العالمي لا يزال كنزاً دفيناً مكنوناً، هو اثمن كنز كوني، بشري، نبوي تستنير البشرية بشموسه، وتبعث مواتها حيّة من وهج حرارته.. تستنير وتبعث اذا ما بحث علماء البشر عن ذلك الكنز وجاهدوا فاستكشفوا ... وعملوا بما يستكشفون وما يعلمون .

كل ما استكشفناه وعرفناه عن ذلك الكنز بعد عشرة قرون واربعة قرون اي مذ قبض الرسول الى الرفيق الاعلى .

مذ ذلكم التاريخ الى اليوم .

اجل ، كل ما عرفناه مذ ذلكم التاريخ الى اليوم ، كل ما عرفناه من عرب ومستشرقين ومترجمين وكل ما اقتبسناه من هدى تلك الشخصية المقدسة ، ما كان ... غير اشعة ضئيلة .

ما كان ... غير اشعة نفذت... وأطلت علينا من كوة ذلك الكنز.

أشعة ، أطلت علينا فاخذتنا فتنة من النور ، ما ألفناها ، وبهرنا ضياء من الحق ، ما انسنا اجتلائه ، فصعقنا ، وجرّتنا الصعقة للتخاذل والتواكل .

هكذا رقدنا رقدة اصحاب الكهف مئة سنة واربعاً في ثلاث مئة وسنوات .

بدافع هذا الابراء الكهفي ، والقناعة بالنعم التي استنرنا باشعتها من

ذلك القبس النوراني ، خسرنا « نحن العرب » وخسر العالم كافة ، ثروة الهبات الروحية ، والماس الكنوز المادية ، وغبطة الطمأنة النفسية .

نعم الثروة التي يتلمسها المثقف العالِم ، المتجرّد ، المجاهد من درس شخصية **الرسول العربي ، اسمى من سار على قدمين من نبي البشر واوفرهم حكمة ... واروع من عفا عن مقدرة وقوة ...**

أروع من عفا عن الذين آذوه وحاصروه وهجّروه ،وبذلوا كل حيلة في سبيل اذلاله وهجائه واغتيابه ، وكل فتنة ، وفتنوا بعض اصحابه ، وجمّعوا القبائل على اغتياله ، واستولوا على ماله ، وارضه ، وممتلكاته ..

عفا عمن قاتلوه في واقعة بدر ، وأحد ، وعمن حاصروه في واقعة الاحزاب ، وغزوه في واقعة الخندق ...

عفا عن الوف والوف ...

لم تكن العبرة السامية في ذلك العفو الكريم ، العفو الذي ما سطّر تاريخ عالمي مثيله او شبه شكله وحسب ، بل .

بل العبرة كانت زيادة عن الفاظ العفو وشكله ، في الخلق الجديد الذي سكبه في ادمغة المعفو عنهم ، وفي افئدتهم ...

المعجزة كانت في الثقة بالنفس في شخصية ذي العزم النبوي حقاً التي ما خشيت قوة الخصوم ، ودسّ الاعداء ، وانقلابهم عليه سيوفاً مسلولة وحراباً مسممة ، واغتيالاً خدّاعاً ...

المعجزة كانت في انه حوّل جميع معتقدات المسيئين الظالمين وثقف نفوسهم ، وجعلهم قوة له لا عليه ...

المعجزة كانت ان اصبح المعفو عنهم ، رجالاً غير اولئك الرجال ،

واصبحت ضمائرهم غير اولئكم الضمائر ، فتضاموا قوة واتحدوا جنـــداً مجاهداً فاذا هم امة غير تلك الامة ، الذليلة بتفرّقها ، واذا هم بعروبتهم قومية غير تلك القومية المستعمرة طوراً من الحبشة[1] وتارة من الفرس[2] واحياناً من الرومان[3] .

اذا هم كل شيء بعد ان كانوا لا شيء .

**

واكرم من عظم مكارم الاخلاق .

فكافأ الابناء اجلالاً لكرم اخلاق الآباء .

أسرت خيل الرسول سفّانة بنت حاتم الطائي ولما اتوه بها قالت : « هلك الوالد ، وغاب الرافد فان رأيت ان تخلي عني ، ولا تشمت بي احياء العرب فان ابي كان سيد قومه ، يفكّ العاني ، ويقتل الجاني ، ويحفظ الجار ، ويحمي الذمار ، ويحمل الكلّ ، ويقوم باعباء حاجيات المحتاجين ويعين على نوائب الدهر ، وما اتاه احد في حاجة فردّه خائباً ، انا بنت حاتم الطائي » .

فقال الرسول : « يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق » .

---

(١) احتلت الحبشة اليمن بقيادة ارباط قائد جيش النجاشي عام «٥٢٩م» واستولى على مملكة « ذي يزن الحميري » « اليمن » وضمها الى مملكة الحبشة .

وفي عهد الملك سروق استخلصها من « سيف بن ذي يزن » بمساعدة كسرى انو شروان وبعد موته تغلب عليها كسرى انو شروان ، وظلت تحت سلطة الاكاسرة الى سنة ٦٣٤م حتى فتحت بالاسلام .

(٢) ملوك العراق كان مقرهم « الحيرة » وكانوا عمالا للاكاسرة ، وظلت دولتهم مستعمرة الى ان انتزعها خالد بن الوليد .

(٣) ملوك الشام كانوا عمالا لقياصرة الروم ، أخرهم جبلة بن الايهم ، الذي اسلم في خلافة عمر بن الخطاب وحديثه مشهور .

استعظمت سفّانة شكل العفو ولفظة خلّوا عنها بدلاً من عفوت عنها فصاحت والدمع مغرورق في عينيها :

« شكرتك يد افتقرت بعد غنى ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، واصاب معروفك مواضعه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلبت نعمة كريم الا جعلك سبباً لردّها عليه » .

بعد ذلك خيّر الرسول سفانة بين البقاء والرحيل ففضلت الرحيل والاتصال باخيها ، لذا امر بتسريحها بعد ان كساها كسوة حسنه ، واعطاها نفقتها ، وحمّلها مع اول مسافر قاصد الى الشام فلما لقيت هناك اخاها عدي وذكرت له حديثها وواقعتها شعر عدي بسمو الرسول وزاهر صنيعه فقام لساعته والقى نفسه الى صفوف المسلمين .

هكذا .. هكذا ...

كافأ الابناء باثمن ما يتمناه المرء النبيل :

الحرية ، وحفظ الحياة ، والكرامة .

وهكذا ، هكذا وبهذه الاخلاق وامثالها انتشر الدين الاسلامي لا بالسيف .

واجرا من اعلن الحق حقاً ، والباطل باطلاً وان كان قول الحق على نفسه او على اهله .

وان كان قول الحق غربة ، وان كان نفيا ، وان كان اضطهاداً ، وان كان تضحية ، وان كان الحق قد جاء من كبير بغيض او عدو مقيت ... وان كان الباطل قد جاء من حبيب حفي ، من اب او ام او اخ .

« يا ايها الذين آمنوا ، كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين او الاقربين »[1] .

« إقبل الحق ممن جاء به من صغير او كبير وان كان بغيضاً بعيداً واردد الباطل على من جاء به من صغير او كبير وان كان حبيباً قريباً»[2]

**

وابلغ من اسمعنا رفاعة بيان الوحي آية هي من سورة آيات الوحي ، آية من اشد الآيات تحسسا للنفوس .

آية من سورة صرع امام تمثالها المعنوي الذين جهلوها او علموها وما عملوا بها .

صرع ملايين فملايين من البشر في الماضي ، ويصرع ملايين فملايين اليوم .

اليوم في هذا العصر العلمي ، النوراني !.. يصرعون افراداً وأمما .

آية تحذر الحكام الجبابرة من تحكيم الكره ، والبغض والمقت والقلى في الادانة والقضاء .

آية تزجر القضاة كهان الحق ، من تسويد المقت اثناء القضاء كما تحذر الامم العالمية من ظلم الامم المغلوبة حتى وان كانت لها كارهة .

كل تلك الفئات تناديها آية الوحي مرتلة بفم الرسول العربي .

« ولا يجر منكم شنئآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى »[3] .

**

كما انه الرسول الفرد ، والعظيم وحده الذي ميل المعجبين ،

(١) قرآن كريم (٢) حديث (٣) قرآن كريم .

المسحورين ، المأخوذين بحكمته ، وفلسفته وعدله ، ومعـــارفه وطهر مريوته .

كل اولئك نهاهم عن ان يؤلهوه في حياته ، وعن ان يتخذوا قبره صنماً يقدس ويعبد صاحبه ، بعد مماته ... فحذرهم بفمه الطاهر ، ولهجته النبوية هكذا .

« ارفعوا قبري عن الارض قدر شبر » .

« ولا تتخذوا قبري وثنا يُعبد من بعدي ..: » .

هل قرأ العالم ام سمع ذو بصيرة فاكرة بميزة من ابناء البشر ايمانا صادقا بالله كهذا الايمان انكر به الرسول نفسه وعظمته ، وتناسى عبرة الحياة الضجاجة البهلوانية ليثقف ابناء الحياة الضجاجين البهلوانيين ؟؟.

هل عرفوا عن انسي في التاريخ كله سن للتواضع الحق شرعا يميز به خلفاء الله في الارض ـ حكماء المكون الالهي ـ العظمة الحقة ؟.. كهذا الشرع ، هذا الشرع الذي جعله نفسه وجعل نفسه فيه امثولته المقدسة وسنته المباركة ؟

**

وهل ذاب باهر الجلالة الدنيوية ، وظاهر ابهتها امـام عظيم غشت جلالته الابصار ، وجلس فوق الاعلام ، والاقطاب والغطاريف ، والملوك مثلما ذابت تلك الجلالة امام الرسول يوم فتح مكة .

يوم فتح مكة دخل رجل الى مجلسه مرتعداً فزعا ، مروعا خوفا ، فخرّ ساجداً ...

شهد الرسول رعدة الرجل وذلته فتألم .

تألم لان النفس الابية العزيزة تأبى هيض الجناح على ذاتها ، وتأباه على سواها .

لقد تألم الرسول حقاً ، اذ تصوّر مجد الانسانية منسحقا فزعا وخشية بانسحاق فؤاد فرد من ابناء الانسانية .

تألم الرسول لذل البشر ، بذلّ واحد من ابناء البشر .

تألم فخاطب الخائف المذعر رامزاً في خطابه ومصرحا في بيانه :

رامزاً ومصرحا ليسمع المحكومين فيعتزوا بالكرامة الانسانية ، والمساواة الانسانية ، وليزكن الحكام فيستحيوا من الغرور البشري وليدرك الملوك فيستقيموا ويتواضعوا ، وليخجل البراطرة من تأليه وحدانياتهم ، وتمجيد اثرة شخصياتهم .

تألم الرسول حقا ، فخاطب الخائف المرتعب بلهجته الوضاءة ، الساحرة ووداعته السلسلة .

« هوّن عليك ، فاني لست بملك ... وانما انا ابن امرأة من قريش .. كانت تأكل القديد ... » .

**

كما انه ، كما ان الرسول كان في موقف القضاء ، القاضي الذي لا واحد له ؛ لقد ابى تلك العصمة ... اذ لا عصمة لغير الله الواحد الصمد .

ابى على نفسه العصمة وادعاءها واقام على المتقاضين حكماً قاضياً منهم عليهم بعد حكمه .

اقام عليهم قاضياً مميزاً من غير الناس ومن غير البشر .

اقام عليهم قاضياً ذكره فيكتور هيغو نابغة من نوابغ فرنسا في قصيدته الخالدة التي برهنت عن شعور مولد بتعريف ابناء عصره. القصيدة المعنوية بـ «La Conscience» الضمير .

ذكره فيكتور هيغو بعد مئات الاعوام، بعد قرون، اما الرسول العربي ففي ذاك العهد البعيد اقام عليهم حكماً مميزاً: سرائرهم التي هذب، وانار ، وطهّر .

ركّز تلك الضمائر لتحترم نفوسها ، وتصون عزتها ، وتحاكم قواها العاقلة المفكرة ، المحللة ، وتجلّ الحق وتقدّسه .

ركّزها على سدرة مجد القضاء امام كوكبة قوى العقل العاقلة ، لتدين نفسها ، فخاطبهم بلسان النذير البشير هكذا :

« انما انا بشر ، وانكم تختصمون اليّ. ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته فاقضي له نحو ما اسمع فمن قضيت له بحق اخيه فلا يأخذه منه ، فانما اقطع له قطعة من نار » .

هذا تكوين معجز يا سفير الله .

هذا بيان سموي يا محمد ، وهذه امثولة الهية في عدل القضاء .

في هذا البيان خلقت رجالاً غير الرجال ، وكوّنت ضمائر غير الضمائر.. ضمائر، غلفتها بالسمو، ونفثت فيها الحياة مجداً. وحفرت كرامتها في الادمغة ، بعزة ، عزة ليعتز العقل ويتطهر ويتمجد .

وفي ذات الوقت قدّست الاخاء البشري لانك كنت تقضي بين المسلمين والمسلمين ، كما تقضي بين المسلمين والكتابيين وكما كنت تقضي

بين الكتابيين والمشركين ، وكما كنت تقضي بين الابيض والاحمر والاسود ، ورغم ذلك اسميت الجميع اخوة فقلت: « من قضيت له بحق اخيه فلا يأخذه منه » .

هذه هبات منك ونِعم يا رسول الحق ادرك بعضها بضعة عظماء من اسياد نوابغ العصور الاخيرة وقالوا بها وما عملوا الا نزراً ، ومع ذلك ملأوا الفضاء منّة على البشر كأنهم خلقوا قمراً للبشر ، او كوّنوا شمساً حتى ان منّتهم حلّت على رؤوس ابنائك العرب الذين هديتهم لهذا الاخاء السليم بلسانهم العربي المبين ...

**

بعد الاستنارة بهذه الاشعة التي هي اشعة معدودة من ملايين اشعة . الا يتحسس العرب — ليتحسس طلاب الحق والنور من غير العرب فنفتش جميعاً عن الكنز المكنون لنسعد باستكشافه ونغتبط .

يوم نستكشف ايها العرب ويوم يعلم الناس كلهم ومن ثمة نعمل جميعاً بما نعلم نستعيد الفردوس المفقود فيسود الحق البشري الخاص الشخصي ، والحق القومي ، والحق الادبي ، ويتهلل العدل الكوني العام الذي يفتش علماء اليوم عنه في جميع الكتب غير كتاب «نفسية الرسول» وغير كتاب الله ، فلا يهتدون .

انهم يوم يهتدون ويستكشفون ، يومئذ ، ويومئذ فقط ، يعمّ الاخاء البشرية ، وتغتبط المساواة العالمية ، ويفهم جوهر الحرية ، ويتغذى الانسان النهم من ثمار جنائن العزة الحقيقية ، وتسود الالفة الدولية ، والطمأنة النفسية ، ويخيم الحب على الجميع ، ربيعاً زاهياً ، زاهراً ، عطراً منعشاً .

حب بريء بين النـــاس في القلوب والافئدة ، وحقوق مصونة في المحاكم ولدى الملوك ، والاقوياء ، والجبابرة ، ومجد سرائر مطهرة بين البشر ، وبشر تحت كل كوكب وسلام .

رسالة الاديب العالم

في هذا العالم

اذا كان من رسالة وضاءة، مقدسة، للاديب المفكر العالم الطموح في هذه الحياة الجبارة ، اذا كان من رسالة حق ، فجماع تلكم الرسالة ، يصاغ في بوتقة البحث عن الحقيقة الطبيعية ، الكونية ...

والحقيقة العلمية الاجتماعية ...

والحقيقة الادبية الكيّسة ...

والحقيقة التشريعية الحقوقية ...

والحقيقة التاريخية المنصفة ...

وحقيقة عظماء البشر ، وحقيقة شخصيات الرسل وتعاليمهم ، حتى اذا استنار الاديب المفكّر، المحلل ، من صوغ رسالته تلك وبحثها ، ووزن بقسطاس عقله ما ادرك ، واصبح ذلك الادراك الحق قسماً من نفسه الحية النامية الطموحة ، ومزيجاً من دمه الجـاري ، وقلبه النابض ، ودماغه المحلل .

حتى اذا اصبح ادراكه ادراكاً حقاً يحمل حياة نامية ، متحركة جاهد في رسالته جهاداً حقاً نامياً، فجهر وبشّر ، وان كان الجهر بالحق غربة ، والتبشير به منفى ...

« طلب الحق غربة » .

« قل الحق ولو كان مرّاً » .

« قل الحق ولو كان على نفسك »[1]

وقله بأدب الحكيم ، المجاهد ، وبيان البشري النضير الشعور ، اليقظ النابه ، الخصب الاحساس .

ذلك جوهر رسالة الاديب العالم ، وهل للاديب العالم رسالة غير هذه الرسالة ؟...

اجل ، ذلك جوهر رسالته ، وتعالى الحق والادب عن ان يدعنا لمصانعة فريق من الناس مصانع ، او يذوبا في بوتقة عصبية سمجة ، او عنصرية ضرسة او يسيرا برؤوس محنية في جيش عبيد تغلبت عليهم تربوية شهوانية مماحكة ، او يشاركا ارقاء قوم باهوائهم الطائفية العربيدة ، او يخضعا للوثة ادمغة مشنوءة التمييز تتخبط في مظلم الغرور فقدامة الادعاء

ذاك هو مذهبي الحق في رسالة الاديب العالم ...

وذاك كان جوابي الحق للمعجبين في كتابي الاول .

وذاك كان جوابي الحق للمتألمين منه اللائمين عشاق - ضغن - الطائفية واتباع قواد - إحن - الميول المذهبية او الجنسية الذين جهلوا عظمة الرسول العربي واخلاقه ، واستكبروا استكبارة تيه - ان يعرفوا...

وجهلوا عدل شرائع الرسول العربي وفلسفتها ورفاعة حكمها ، وانفوا دراستها وتحليلها ووزنها استنكافاً مريراً ، وما هكذا يفعل النابهون المثقفون حضنة العلم ، وحملة اعلام الحق .

---

(١) احاديث نبويه .

الرسول العربي العالمي والعرب

الحق كل الحق اقول : ما قصر اتباع رسول نحو رسولهم ، وما صدف عشاق عظيم نابغ نحو نابغتهم ، وما صدّ ابناء جنسية عالمية نحو عظيم من عظمائهم او عبقري من عباقرتهم ، مثلما قصّر ، وصدف ، وصدّ اتباع الرسول العربي نحو قطب الجنسية العربية ، ومؤسس امجادها ، ورافع عمدها ، ومزين بناءها .

نعم .

نعم ، ما قصّرت امة القصور الذي قصّره العرب نحو قطبهم الاعظم وامامهم الاكبر نحو الرسول ، والمشترع ، والفيلسوف ، والقائد ، والسياسي ، والقاضي العادل ، والمجاهد الصابر الجلود ، والحكيم القوي الغفار الكريم ؛ الرحيم ، والعالم النفسي الثاقب المعرفة ، والمهذب النوراني المتواضع ، والاب الصالح الفاضل ، والاخ المخلص الودود .

الرسول الذي ما استكفى ان علّم العرب حقائق الحياة من جميع نواحي الحياة .

ما استكفى ان علمهم بفمه وعذوبة بيانه بل ، بل اتبعها بمثله الاعلى الوضاء وجهاده المستمر المثمر .

الرسول الذي كوّن من قبائلهم العربية البدوية ، المتخاصمة الضارية ، المشركة الجاهلة ، الامية ، الظالمة التي لم تكن شيئاً .

كوّن منها امة متحضرة ، متحدة ؛ وديعة ، قوية ، موحدة ، عالمة مجاهدة ، منصفة عادلة ، اصبحت كل شيء وبثلاثين عام ...

الرسول الذي اضرم ثورة دينية، وثورة سياسية عالمية، وثورة علمية وحقوقية ، وثورة ادبية ، كما كوّن نزعة فلسفية اختبارية هي اسس المبادىء الفلسفية، كما انشأ دساتير اقتصادية جنسية قومية ودولية عالمية هي ركن المباحث العصرية .

ثورات في ثورة هي اعظم ثورة امية .

كما انها اقل الثورات الامية اضاحي ، ضحيت بها نفوس بشرية .

كما انها اطهر ثورة عفو ، عفا بها عن خصوم اشدّاء في ساعة انتصار مبين ، وفتح مبارك ، كما انهـا اقدس ثورة هداية للتشريع الالهي ، والتشريع الحقوقي ، العالمي ، فالاجتماعي البشري والانساني .

انها لثورات في ثورة .

حقا ، انها اعظم ثورة اصلاحية هادية وان انكر الاغيار في الماضي والحاضر .

ان انكر الاغيار هذه الحقيقة فسيعترفون بها في المستقبل .

وفي المستقبل القريب .

نعم ، اضرم ثورات في ثورة مفتتحا فضاءً واسعاً للعلم ، وافقـاً لا متناهي للعلماء ، والعقل والعقلاء ، والفكر والمفكرين ، والبصيرة والمتبصرين .

« وقل رب زدني علما »[1]

« ما تم دين انسان حتى يتمّ عقله » .

« دين المرء عقله ومن لا عقل له لا دين له » .

---

(١) قرآن كريم

« اطلب العلم ولو بالصين » .

« اطلب العلم من المهد الى اللحد » .

« العلماء مصابيح الارض وخلفاء الانبياء » .

« يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء ، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء » .

اكرموا العلماء فانهم ورثة الانبياء »[1] .

بهذا البيان الخصب النضير بسط سيادة العلم على الملوك والقواد ، والبراطرة والمحاربين ، والمفتتحين والجنسيات ، والقوميات واعداء العلم .

وبهذا البيان الجليل المقدس ، سوّد شرعه على كل الاجيال ، وكل العصور .

فاعترف بجهوده اتباعه الذين اغترفوا من بحر علمه ، واستناروا من شموس عقله وشرعه ، واستنوا بسنته .

اعترف خيرة المنصفين من الفرنج فقال « غوستاف لابون » :

« نشر العرب المواد الجوهرية من المدنية : وعاشت الجامعات الاوروبية ومنها جامعة باريس مدة ستمئة سنة من مترجمات كتبهم وجرت على اساليبهم في البحث فكانت المدنية العربية من ادهش ما عرف التاريخ » . واستدلّ الباحثون على ان كتب الشرف للعربية ان كانت لغة الدول ذوات العلاقة بالشرق العربي قرابة الف سنة واصبحت العربية في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص في العالم المتمدن « وصارت حاملة علم التقدم الصحيح » ، وحافظت على

(١) احاديث نبوية

تفوّقها وتصدّرها في المرتبة الاولى بين جميع الالسن الاخرى الى آخر القرن الحادي عشر على اقل تعديل [1].

رغم ذلك ، ورغم ما بشّر به الرسول وجاهد، وهذّب، وأثار .

ورغم انه منارة هدى وحق لم ننشىء نحن العرب .

بعد مرور عشرة قرون واربعة قرون اي مذ قبض الرسول الى يومنا هذا .

« مُتحفاً علمياً محمدياً » .

مُتحفاً ينيرنا وينير البشر جميعاً .

لم ننشىء ذلك المتحف في عاصمة من عواصم الممالك العربية .

مُتحفاً يحجّ اليه عشاق الثقافة والمعرفة، والعلم، والتاريخ، والتشريع من اخواننا وابنائنا ومن رجالات الامم العالمية وادباء الشعوب الارضية .

مُتحفاً يمثل اجنحة :

جناح كبير لآثاره الموزّعة في كل قطر واقليم .

واجنحة لتعاليمه : جناح لتشريعه في السياسة ، وجناح للعبادات وحكمتها ، وجناح للواجبات الاجتماعية ، والحقوقية ، وجناح للنظافة، والطهاره وعلم الصحة ، وجناح للعلم والفلسفة ، وجناح للمرأة : حقوقها وواجباتها، وجناح للصبر والشجاعة، وجناح للصدق والاستقامة ومكارم الاخلاق ، وجناح للزراعة والصناعة والفن ، وجناح للاقتصاد السياسي ، وجناح لواجبات الاهل والعيال وحقوقهم ، وجناح للرفق بالحيوان ،

---

(١) الاستاذ كرد علي « الاسلام والحضارة العربية » .

وجناح للحقوق الدولية،وجناح لتحرير الارقاء وجناح لتحرير الشعوب وجناح ... وجناح ... وجناح الى اربعمئة جناح ...

نعم اننا لم ننشىء متحفاً جليلاً كهذا نعرض في اعلى كل جناح منه الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية واعمال الرسول الشخصية .

الآيات ، والاحاديث ، والاعمال التي هي المثل الاعلى والاطهر ، نعرضها باللغة العربية ونترجم المعروض على ذات الجناح للغات العالمية الحية ليزكن من يجهلون العربية تعاليم الرسول العربي ، وعظمة « السوبرمن » الاول العالمي .

**

ان الدولة العربية التي تنشىء هذا المتحف لا تعمل على توسيع دائرة المعارف العلمية ، والاخلاقية ، وتثقف النفوس وحسب بل ، بل تستفيد خزينتها مادياً من دخل المتحف ، وتفيد ابناء البلاد من الحجاج الذين يقصدونه ، اذ يصبح المتحف محجاً لافاضل رجالات العلم والبحث يؤمونه من اطراف العالم، فيتعلمون اياماً او اشهراً وقد يكون اعواماً وتلك العاصمة تستثمر .

**

ومن ثمة أليس من قصورنا الفاضح المخجل ايضاً .

من قصورنا المؤلم ان يتشوق مئة مليون ، وخمسين مليون من الاميركيين الاسبانيي الاصل،العربي الدم والعصب المنتشرين في اميركا الجنوبية خاصة والعالم عامة .

الاميركيين هؤلاء الذين يفاخرون في اصلهم العربي، ودمهم العربي وجمال عيونهم العربية ، وفراستهم العربية ، ومجد اجدادهم العرب ،

ويحنّون لمعرفة حقيقة نبي اجدادهم ونفسيته ، وتاريخ العرب ، وعلوم العرب ، وآداب العرب .

يحنّون الى اجدادهم العرب الذين انشأوا مدنيـة سامية في عصور الظلمة الاوروبية .

انشأوا مدنية تفضل في معظم نواحيها مدنية اليوم، في القرن العشرين، قرن النور .

مدنية عربية تطهّرت من الاحتكار وسلطان المتمولين ، وفتنـــة المرأة ، والاضطهادات العنصرية ، والرق السياسي والمـــالي ؛ والربح الحرام ، والمقامرة والمسكر ... مدنية عربية ودم عربي يفاخر بها شاعر اسبانيا فرنسيسكو فيلاسباسيا فيقول : « اننـا رغم لباسنا الحديث ، واهمالنا لغة اسلافنا العرب ما نزال احفاد اولئك البدو الذين تعودوا في وحشة الصحراء ان يخاطبوا الله وهم قعود امـــام مضاربهم المنسوجة بوبر الابل » .

« ولو نزعنا بعض الكلس عن جدران كنائسنا لالفينا تحته لمعـــاً مذهبة لاسم الله الاقدس محفورة بحروف كوفية، ولو خدّشنا بالاظافر بشرتنا الاوروبية الصفراء لبرز لنا من تحتها لون بشرة العرب السمراء ، ان قوميتنا العربية هي العرض الظاهر ، اما القومية الشرقية العربية فهي حقيقتنا الخالدة » .

هل طالع القارىء الطف من هذا النداء للامم العربية ولدولهـــا الحاضرة ؟...

اليس من قصور العرب الفاضح ، وقصور دولهم المؤلم ، وجمعياتهم الوافرة ان يتخلفوا عن ارسال بعثة من كرام العلماء لالقاء محاضرات

في ابحاث ومعلومات يتشوق لمعرفتها اخواننـــا الاسبانيون العرب في اميركا .

الا يتألم العربي الخصب الشعور ، الجزل المروءة من هذا القصور ، الا يحس ان قصوراً كهذا من جملة الدوافع التي جرأت اناساً غلظت مادة ثقافتهم ، وتحوشنت آدابهم وسمجت فمثلوا الرسول العظيم تمثيلاً وقحاً هو رقاعة ، وصفاقة ، يتبرأ منـــه العقل والتاريخ والعلم والحق والثقافة المحللة الصحيحة !؟.

كدت اقول قولة الاستاذ الامام حجة الاسلام الشيخ محمد عبده .. لولا اني احس بوهج الفجر العربي ، وطلائع بعث الدول العربية .

الفجر ، وطلائع الفجر التي تبشر بيوم باسم ، ومستقبل مجيد ، وشعور بالواجب نضير ...

رسالة الازهر

في القرن العشرين !!

بحث نشره المؤلف في جريدة « القبس » الدمشقية ومجلة « الرسالة » المصرية وغيرها من الجرائد والمجلات جواباً على اقتراح الوزارة المصرية . وقد نشرناه في الكتاب الثاني ، هذا ، لانه يرتبط في موضوعنا ارتباطاً وثيقاً .

رسالة الازهر في هذا القرن ، القرن العشرين المسيحي ! ام القرن الرابع عشر المحمدي .

ان رسالته ، هي تصيّر رسالة الرسول العربي العـــالمي المقدمة في القرن الاول المحمدي منذ الف عام وثلثمئة عام ، وستين عاما وثمانية اعوام « ١٣٦٨ » .

اجل ، هي تصيّر رسالته مذ تحنث وتعبّد فتجرّد الى ان غطّه الوحي فعلم . الى ان حمي التنزيل وتتابع ، فجـــاهد وعلم وانذر وبشّر ، فبلّغ .

بشّر بالحكمة والموعظة الحسنة الناس جميعا « قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » .

انذر وبشّر وعلّم ، بفؤاد وادع ، وقلب سليم ، وسريرة طاهرة ، فبلغ « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » الى ان اكمل جهوده ، واتمّ رسالته واستودعها الفرقان الحكيم ، وجعل قيّمين على

تنفيذها سرائر صحابته ، وتضحية المؤمنين بنبوءته ليعملوا بما اوحي اليه وانزل عليه ، ويجاهدوا وينيروا ...

يجاهدوا وينيروا البشر جميعاً بدين الفطرة ، والاخاء والشورى ، والمساواة والعدل ، والعلم ، والحكمة ، والحجة ، والضمير ، والحرية ، والجرأة ، والصراحة والاستقلال . وقرة اعين في الدنيا و« رضوان من الله اكبر » في الآخرة .

اذن على أسس هذا الواجب العادل ، وهـذا التمثيل الحق ، يرفع هيكل مجيد لرسالة الازهر في القرن الرابع عشر المحمدي او القرن العشرين كما اسمته وزارة المعارف المصرية الجليلة !.

اذن يرفع هيكل رسالة الازهر في هـــذا القرن كما رفع هيكل الانسانية الالهي في القرن الاول المحمدي . فيقابل الدور الاول ، دور التحنث والتعبّد والتجرّد والعلم ، بتحنث وتعبّد ودراسة من ينتخبهم الازهر ام يتجندون للعلم في الازهر ، على ان ينتخب الازهر طلابا من اولي الشعور الخصب ، واولي العزم ، والذكاء العميق ، والتحسس الضميري ، عشاق التضحية ، وعشاق الحق ، ويثقفهم ثقافة كاملة ، شاملة .

ينتخب الازهر طلابه من الشبان والشابات ممن اكتملت صفاتهم تلك ليتعلموا مع علم الدين وشرعة الرسول ، وسنته ، وسيرته ، واللغة العربية . ليتعلموا اللغات الحية العالمية ويدرسوا الاديان العالمية ، وتاريخها ، وفلسفتها واساطيرها حتى الوثنية منها .

كل فريق يتخصص للغة حية ، ويتخصص لفرع من فروع العلوم ، ليعلموا عن كل علم جوهره الحق فيكون علمهم علماً حقاً « وان الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

قلت ينتخب الأزهر طلابه من الذكور والاناث فلا يحتكر العلم والتبشير الذكور عملاً بالآية الكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » ولان واجبهم في التبشير العالمي واجب الذكور والاناث على سواء .

وقلت ينتخب الازهر طلابه من ذوي الشعور الخصب ، والذكاء العميق ، والتحسس الضميري ، وعشاق التضحية والحق لكي لا يقوّلوا الله ما لم يقل في كتاباتهم سيرة الرسول ، ويعمّلوا الرسول ما لم يعمل في تبيان حياته ، ويضعوا في فمه الفاظاً تطهّر منها فمه .

فيقولون مثلاً : « غزوة » لكل واقعة انتصافية او تهذيبية او تبشيرية »

ان الغزوة كتبت بعقلية من كتب بعد مئتي سنة من وفاة الرسول ، مع ما في كلمة « الغزو » من ظاهرة السلب ، وحب القتال غير المعقول ، وغير الحق .

ان المفهوم المعقول بالآيات المنزلة عندما أذن للرسول بالقتال كانت للانتصاف او التهذيب او التبشير او حرية العقيدة لا للغزو .

« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » فهل يحب الغزاة الناهبين ؟

« ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » .

« الذين ان مكنّاهم في الارض ، اقاموا الصلاة ، وأتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

« وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .

«عسى ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير ،والله غفور رحيم» ، «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين . ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين . واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

« وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين » .

« قل انما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق » .

وهناك بيان عذب صريح للقتال الانتصافي لم يسمه رسول الله غزواً ذلك البيان قبل قبل واقعة «تبوك» الدفاعية ولفظ بفم النبي العظيم . .

في رجب سنة تسع للهجرة بلغ الرسول ان الروم جمعت له جموعاً كثيرة بالشام وان هرقل قد رزق اصحابه لسنة وانفقت معه لخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان ، وبعثوا بمقدماتهم الى البلقاء . فلما امر الرسول جماعته في التأهب لردّ غارة اعدائه قال للجد بن قيس احد بني سلمة : هل لك يا جد العام في «جلاد» بني الاصفر الى آخر القصة والواقعة .

منها يعلم اليقظ الحكيم ان الرسول لم يقل «هل لك يا فلان «بغزو» بل قال في جلاد .

في جلاد الجادّين في الاعتداء .

تلك هي الآيات الحكيمة المنصفة التي نزلت على الرسول وذاك هو اللفظ الذي قاله في احاديثه ، وتلك هي الكلمة التي استعملها في خطابه فمن اين جاء كتّاب السيرة بجموعهم دون ما استثناء . من اين جاءوا هم ومن تابعهم بالغزو ... وبالغزوات .

**

ولكي لا يقوّلوا الرسول هكذا . « تذهب الكثرة من المؤرخين الى انهم – اي الصحابة – فكّروا وفكّر محمد على رأسهم في الانتقام من قريش لانفسهم ، ومبادأتهم بالعداوة والحرب » .

ولكي لا يضعوا في موضع آخر الغاية من تعبده وتحنثه ، ووجده وحزنه على قتلى « بئر معونة » بقولهم : « وبلغ من حزن محمد انه ظل شهراً كاملاً يدعو الله بعد اداء فريضة الفجر ، لينتقم لهم من قتلتهم » .

ولكي لا يبشروا في مكان آخر هكذا « فكّر الرسول في ان ينتقم لحبيب بن عدي واصحابه ممن قتل بنو لحيان عند ماء «الرجيع» .

ولكي لا يقوّلوه –الطعن والشتم والسباب بقولهم «طعن آلهة قريش شتمها ، سبّها ولكي ولكي ...

ان الرسول لم يكن منتقماً بل منتصفاً ، وقــد حذّر الانتقام ولم يكن سباباً .

والحديث الصحيح والقرآن الحكيم ينفيان عنه حب الانتقام والشتم

والسباب ، فمن اي مصدر قرآني ، او حديث صحيح وضعوا في صدر الرسول الانتقام وفي فمه السباب ؟...

ان الرسول فكّر في الانتصاف من اعداء الله واعدائه، فكّر في حرية التبشير ، فكّر في تعليمهم الحق وعلم بما فكّر . فلما لم يذعنوا بعد ثلاثة عشر عاما وامعنوا في اضطهاده ومن ثمة -هجّروه وآذوه- اذن له في القتال الانتصافي .

ولم يسب آلهة قريش بل « عابها » .

لم يسبها لان حديثه مشهور . « لا تكن سباباً » .

« ليس المسلم بالسّباب، ولا بالطّعان، ولا باللّعان، ولا بالفاحش ولا بالبذيء » .

« ان الله تعالى طيّب لا يقبل الا طيباً » .

ان كتّاب السيرة لا يجهلون ان الرسول كان يعمل بما انزل عليه ومما انزل قول الفرقان الفاصل الفارق بين الحق والباطل .

«ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغيرعلم».

**

ولكي لا يصفوا جلال تواضعه ؟ واعتماده على نفسه بقولهم « كان يفلّي ثوبه ..» وفي موقف آخر « كان يمسح لجواده بكمّ قميصه » ...

ومما يشجي ويغمّ ان تكون احدث المؤلفات العصرية التي كتبت « حياة الرسول » العظيم المطهّر ، بقلم مؤلف حساس غض الشعور قد اوردت الشاهدين المتقدمين ، دون ان يحس المؤلف بذكاء فؤاده ، ولطافة روحه، ولباقة شعوره الى ان هذا الوصف انما هو وضع شعوبي

غليظ ضرس ودون ان يشعر بسلامة طبعه الى احاديث الرسول القائمة في الطهر والنظافة .

« احسنوا لباسكم واصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس » .

وقوله « بني الاسلام على النظافة » .

« النظافة من الايمان » .

« الطهور شطر الايمان » .

« طهّروا هذه الاجساد طهّركم الله » .

« مضمضوا من اللبن فان له دسماً » .

« ان الله يبغض الوسخ الشعث » والآية .

« يا ايها المزمل ، قم فانذر وربك فكبّر وثيابك فطهّر ، والرجس فاهجر » .

ايكون الرسول مطهّراً وناصحاً ومعلماً وقائلاً بالنظافة ويكون ثوبه كما وصفوا « ليفلي ثوبه .. » ويمسح لجواده بكمّ قميصه ...

انه لحمق ، وسخف ، وأفن من الكاتبين والواصفين واهمال الفاكرة المحللة من الناقلين .

**

للاسباب المتقدمة التي صهرناها صهراً ننـــادي الازهر بيت العلم المحمدي الاول ، ونقول: ان واجب رسالته ، الواجب الرئيسي كتابة سيرة للرسول تتفق والقرآن الحكيم ، وعقلية الرسول البريئة واعماله الحقة . وقلنا على طلاب الازهر ان يثقفوا ثقافة جامعة شاملة ، لكي لا يرموا قلب الحق بما رماه به كاتب مشهور تعلّم في الازهر ، واتصل بالشيخ

محمد عبده اتصالاً وثيقاً ، وكان من المؤمنين برسالة الرسول ونبوءة الرسول .

لكي لا يرموا قلب الحق وان تعريباً وان نقلاً بقولهم في تأبين من اشتهر بالبخل وحب المال اشتهاره بالذكاء والدهاء .

لكي لا يرموا قلب الحق بقولهم :

« في مثل هذا اليوم منذ مئة سنة مات الرجل العظيم ، مات الرجل الخالد ، مات فولتر ، ما مات فولتر حتى احدودب ظهره تحت اثقال السنين الطوال واثقال جلائل الاعمال واثقال الامانة العظيمة التي عرضت على السموات والارض فأبين ان يحملنها فحملها وحده ، ألا وهي تهذيب السريرة الانسانية فهذّبها فاستنارت فاستقام امرها ... »

وفولتر هذا الذي هذب السريرة الانسانية فاستقام امرها ، فولتر هذا الذي عظّمه مُسلم مؤمن وسكب عظمته في صدر كل عربي ومسلم فولتر هذا هو كاتب القصة التمثيلية بعنوان « محمد » . القصة التي اهداها الى البابا بنوا الرابع عشر بهذه العبارات : « فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من اشد الناس اعجابا بالفضيلة اذا تجرأ فقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية . والى من غير وكيل رب السلام والحقيقة استطيع ان اتوجه بنقدي فسق نبي كاذب واغلاطه؟ فلتأذن لي قداستك في ان اضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه وان اجرؤ على سؤالك الحماية والبركة واني مع الاجلال العميق اجثو واقبّل قدميك القديستين » .

فولتر

١٧ اغسطس سنة ١٧٤٥

ترى لو كان المُعرّب المترجم الذي استعار بلاغة القرآن قد تثقف الثقافة الحقة الجامعة الشاملة وفهم نفسية من كتب عنه واعماله واقواله .

ترى لو كان مثقفا ثقافة جامعة أكان يقول عن فولتير قولة سواه أكان يقول ان فولتير هذب السريرة البشرية فاستنارت فاستقام امرها، وان امانة هذا التهذيب عرضت على السموات والارض فأبين ان يحملنها فحملها وحده؟ ويكون تهذيبه للبشر بهذا الشكل المضلل الفاسق. غفر الله لمن عرب ولمن ثقف هذه الثقافة.

..

اذن لتكن رسالة الازهر تعليم اللغات الحية ولتكن رسالته الثقافة الجامعة الشاملة ليطلع طلابه على اهم المسائل فيظهروا الحق حقاً والباطل باطلا.

لتكن رسالته الثقافة الشاملة، فلا يصاب طلاب الحق بامثال من ذكرت، وبامثال عالم كتب حياة محمد (ص) وعندما شاء ان يصوّر كيف خشيت قريش البعث ورعبت من جهنم قال: اما الجنّة التي أعدّت للمتّقين، وجهنم التي أعدّت للظالمين. امـــا ذلك كله فلم يكن يدور بخاطرها، وذلك كله قد سمعوا به في دين اليهود، وفي دين النصارى». وقال في صفحة ثانية: «والموسوية والعيسوية تصفان حياة الخلد ورضا الله»

لا اعلم اين قرأ المؤلف وصف الخلد، ووصف الجنة وجهنم في الدين الموسوي !.

لا جنّة ولا جهنم ايها المؤلف الفاضل في الدين الموسوي ولم يرد وصفهما لموسى. ان التوراة استكفت بقولها « ان الله إله منتقم يفتقد ذنوب الآباء في البنين الى الجيل الرابع، ومن ثمة يفتقد خطايا الخاطىء وذنوبه بجسمه ونسله وأنعامه ومواشيه الخ ... »

مثل هذا القصور في الثقافة لا يليق بمن يكتب حياة اعظم من سار على قدمين من بني البشر — حياة الرسول — لذا نرى ان اول واجبات رسالة الازهر توسيع دائرة معارف طلابه وتثقيفهم ثقافة جامعة شاملة قبل ان يكتبوا عن الرسول. وقبل ان يحللوا الحكمة السامية التي

تجسدت في شخص محمد ، والادب الرفيع الذي جال اقواله واعماله .

جهلت قومه عليه فاغضى   وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وقلنا بالتخصص ليخرج من طلابه نوابغ في اي فرع من فروع العلوم ، فاذا تخصصوا ونبغوا حق لهم ان يفسروا القرآن الحكيم لانهم يومئذ ، ويومئذ فقط ، يفهمون الآيات التشريعية العالمية الدولية والنفسية البشرية ، وعلوم الفلك والطبيعيات و و.... ان في القرآن أسس العلوم البشرية فأنى لغير مجمع كبير علمي اخصائي في العلوم يفهمه ويفسره ؟[1] فاذا تخصصت كل فئة لفرع أجادت فهم القرآن وأجادت تفسيره .

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقا آخر » .

هذه الاطوار الستة وردت في القرآن الحكيم منذ اربعة عشر قرنا اثبتتها الاكتشافات الحديثة أمس ، واتخذها الفلاسفة الطبيعيون حجة على اطوار خلق الجنين توافق الاطوار التي نشأت فيها اصول الحيوانات في الازمنة العريقة في القدم قبل خلق الانسان بادهار طويلة ، وذلك ان الانسان يكون في الطور الاول من انشائه نطفة اشبه بالحيوانات السافلة المسماة بذوات الجوف ، ثم يستحيل الى علقة فيصير اشبه بالسمك ثم ينسلخ مضغة فيكون شبيها بالحيوانات المائية البرية ذوات العمرين ، وبعد ذلك يتحول الى مشابهة ادنى مراتب الحيوانات اللبون وهو حينئذ في بدء الطور الذي ينمو فيه خلقاً سوياً متميزاً بخصائصه النوعية » «

أنى لغير الطبيب الحكيم ان يفهم عظمة القرآن وعلوم القرآن اذا

(١) «ولقد ضربنا للناس في القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون» . قرآن كريم

مرّت امامه الآيه التكوينية تلك وامثالها ، وأنى له ان يفسرها ؟ وانى له ان يدرك ان مذهب درون اقتبس منها .

وأنى لغير المشترع القانوني الباحث المحلل ان يعلن بسرعة ان اعظم لجنة اختارتها جمعية الامم في القرن العشرين مؤلفة من اكبر مشترعي العالم ومنذ اشهر معدودة لتحكم بين دولتين هما من اعضاء جامعة الامم.

ان تلك اللجنة التشريعية قالت : طالما ان مجلس الثلاثة عشر أقر واعلن ان ايطاليا هي المعتدية على الحبشة ، ولمـا كان كلاهما عضواً في جامعة الامم فعلى جامعة الامم ان تناصر المعتدى عليها .

ذلك كان حكمها ، فلنسمع حكم القرآن في مثل هـذا الموقف ولنعتبر ولنحترم .

لنسمع للحكم السامي الرفيع الذي جاء به الفرقان منذ اربعة عشر قرناً ، الحكم الذي عجز عن الاتيان بمثله اعظم علماء الشرع في القرن العشرين .

وعجز عن الحكم بمثله اعظم جمعية امية ، وامنعها علماً ، واعزها قوة.

« وان طائفتـان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين » .

..

فاذا اكتملت الثقافة واكتمل التخصص وتعلّم اللغات فقد ابتدأ دور الجهاد فاصبحت رسالة الازهر الثانية والثالثة ، اما الدور الرابع فالترجمة وارسال الوفود تحت كل كوكب للتعليم والانذار والتبشير بالحكمة والموعظة الحسنة بفؤاد وادع وقلب سليم .

وان يكون من جهاد الازهر طبع المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن القرآن وعمن تصيّروا الرسول متشرفين بحكمة امامته العظمى ، وليكن من جهاده نشرها .

حسب الازهر ان يقوم بما تقدم لينقل للانسانية رسالة سامية تطمئن الاصغرين وتسعد في الدارين .

الخلاصة عن رسالة الازهر

١) ان ينتخب طلابه من ذوي الشعور الخصب ، وعشاق الحق ، ليتعلموا مع العلوم الشرعية الازهرية كلها تاريخ الاديان وفلسفة تلك الاديان واساطيرها .

٢) ليتعلموا اللغات الحية .

٣) وان يكونوا فئات في التخصص ، كل فريق يتخصص لعلم من العلوم حتى يجيدوا فهم القرآن الكريم الجامع لاسس العلوم ويجيدوا تفسيره .

٤) ان يترجم الازهر خيرة المؤلفات العربية ذات العلاقة بالدين الاسلامي والرسول العربي الى اللغات الحية .

٥) ان يبعث ارساليات تبشيرية تحت كل كوكب تبشر بالحكمة والموعظة الحسنة الناس جميعاً .

٦) ان يكتب سيرة الرسول العظيم كتابة تتفق مع ما ورد في

الفرقان الحكيم والاحاديث الصحيحة ، ورأي المؤرخين الفلاسفة المنصفين .

٧) ان يترجم تلك السيرة ، ام الحياة، الى اللغات الحية جميعها وان يطبع ما صنف من المؤلفات النفيسة الحكيمة عن الرسول والدين .

محاضرة فلسفية

عن التشريع الاجتماعي في القرنين الثامن عشر والعشرين والتشريع الاسلامي [1]

اعظم الثورات العالمية الاجتماعية في القرنين الثامن عشر والعشرين هما الثورة الفرنسوية والثورة الشيوعية .

حقوق الانسان في الثورتين الجهاد في الاسلام ، تعريفه ومعناه ...

ابحاث فلسفية دقيقة في التشريع .

الزمان – الاثنين في ٩ تشرين الثاني عام ١٩٣٦ الساعة التاسعة ليلاً
المكان – مكتب المؤلف – ذوق ميكائيل – لبنان .

••

صورة الزمان ونفسية المكان

انه لليل يغمر أفق سمواته ضباب .

ضباب قاتم ، اسود الوجه كالح .

ضباب يتوزع في الفضاء بسخاء ، فيقف سداً بين ابصارنا الجسمانية ووجه المكان الارفع ليحجب نور النجوم ، ونظراتها العذبة ، الحلوة ، الفاتنة .

---

(١) بحث القي في دار المعلمين ببغداد .

انه لضباب يحجب عن ابصارنا تلك العيون المعلقة في الفضـــاء على طريق المكوّن الأعظم .

عن ابصارنا يحجب طريق الرحمن الرحيم اما عن بصائرنا فلا.. لا..
ان بصائرنا كقلوبنا .
ان بصائرنا كأفئدتنا ، و كقلوبنا ، و كأجسامنا .

اجل ، انها كقلوبنا وافئدتنا ، تدقّ دقاتها بانتظام حتى ونحن نيام.
انها كاجسامنا التي تنمو وتتحوّل حتى في ساعات سباتنا العميق .
انها تعمل بسنّة المكوّن المبدع شئنا ام ابينا، استيقظنا ام رقدنا .
بصائرنا اذن كالنجوم اليقظة ، العـاملة في معمل التحوّل التكويني الابدي .

تعمل غير آبهة للغيوم ، ، والضباب ، والسحاب .
غير آبهة لبروق مارس !..
وغير مرتعشة من رعود جوبيتر !.. وصواعق ابي كوبيدون ! ..

**

في هذه الساعة التي تتمثل بها الطبيعة في هذا الشكل الكئيب امرني هاتف نفسي .

قم يا هذا واجلس الى مكتبك ، قم واكمل تأليف الكتاب الثاني عن « نفسية السوبرمن الاول العالمي » .

لقد تعهدت بتمثيله للطبع بعد شهرين. « واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » .

هكذا قالت نفسي العاملة ، لنفسي الكسولة .
نهضت بحماسة من شعر بواجب ، واجب .

نهضت ودماغي يغشاه جلال التحليل .

نهضت متهيباً ناكس الرأس مطرقاً .

نعم نهضت متهيباً ومطرقاً ومن من الحساسين العميقي التفكير ، النبيلي الادب لا يتهيب ويطرق اذا داهمه مجلس أمي راعي بهم ، وتاجر اقمشة وتمر .

أمي يشعّ من وجهه جلال الملوك الفلاسفة ، او جلال الفلاسفة الملوك كما يشعّ من عينيه فتنة الانبياء ، وطهر الرسل ، وقد جلس في حضرته عظماء المشترعين العالميين سادة الامم ، وقواد الشعوب ، جلوس تلامذة متعلمين ، مستفيدين .

زائرون ومناظرون

جلست الى معملي اذن .. الى مكتبي .. نظّمت اوراق المسوّدات امامي ... دقائق ... طق ... طق ...

ماذا اطرق على الباب ... ازائرون ؟ ... وفي هذه الساعة ... من يقوم بواجب الزائرين والجميع نيام ...

تك ... تك ... تك ... تك .

انهم اكثر من زائر ... انهم اربعة ... تفضلوا ...

سلموا برزانة من يحملون في افئدتهم امانة عزيزة ، وادب . من يحترمون المجالس العلمية ويجلّونها .

ساروا ... حتى اذا بلغوا المعمل لامسوا تهيّب موقفي وتكهنوا بباهر جلال موضوعي ، فجلسوا بشكل دائرة نصفية حول المكتب مستعبرين وارعين ، وادعين .

تفرّست ... فاذا ثلاثة منهم من معارفي .

الاول – سعد ، اديب كهل يفكّر كثيراً ... ويتكلم قليلاً ...

الثاني – توفيق ، حارس شاب من حراس الامارة الصحفية ، عصبي المزاج ، سريع الادراك ، حاضر البديهة ، وانه رغم تدينه بدين ابائه واجداده ، اشتراكي العقيدة السياسية شديد التطرف .

الثالث – صادق ، متعلم العلم الديني المحمدي ، تقليدي في تحليله يتبسط في بحثه عن ايمان وعقيدة راسخة .

..

سعد – نعرّفك بصديقنا المستشرق او المتمشرق بلهجة صديقنا الاستاذ الغلاييني المتمشرق الذي يرى الغرب مشرق شمس العلوم وان كانت الشمس الكونية بازغة من الشرق .

يرى الغرب مرآة تعكس النور على العالم كله ، لا نور غير نور الغرب ، لا عدل غير عدل الغرب ، لا حرية غير حرية الغرب ، لا حكمة غير حكمة الغرب ، لا تسامح غير تسامح الغرب ، لا مساواة غير مساواة الغرب ، لا مدرسة تثقيفية لطلاب الثقافة غير ثقافة الغرب .

قلت في نفسي اذن نحن في هذه الغرفة خمس لهجات تعبّر عن خمس سرائر وخمس فراسات عقلية .

توفيق – جئنا يا استاذ للبحث والتحليل ... لقد قرأنا كانا مجتمعين كتابك « نفسية الرسول العربي السوبرمن الاول العالمي » .

ليون – مقاطعاً ، هنا نبتدىء ... هنا ... لماذا وصفت رسولك بالسوبرمن وما استكفيت بل قلت السوبرمن الاول العالمي ؟

ايكون رسولك العربي افضل من سار على قدمين من بني البشر ، واسمى من كل انسي عرفته هذه الكرة الارضية ؟

انصف من اشترع ؟ واروع من ثقّف وانار وعلّم .

نحن ابناء الغرب نقول بالعظيم الحقيقي قولة احدنا « ان العظيم هو الذي يجدد العالم ، ويبعث النشاط في النـــاس ، ويفتح ابواباً تفيض بالمعارف التي تغير كل شيء فأفضل العلماء هم الذين كشفوا عن مبادىء جديدة ، ووضعوا أسس العلوم النافعة للبشر ، وأسس الشرائع ، وأسس تهذيب الشعور والاخلاق ... حتى اننـــا لا نعتبر ادسون وواط واستفنسن من امراء العظماء لانهم رغم مستكشفاتهم فانهم بنوا عـــلى اساس غيرهم ...

سعد – نستميح السيد ليون عذراً اذا جعلنا بحثه هذا مسك الختام اما الان فاننا نستفتح البحث في ما هو اكثر تحمساً للنفوس ، واروع للتاريخ .

توفيق – اني ارتأي رأي سعد ، واذهب مذهبه .

ليون – اذن نبحث في اعظم حوادث العالم . في الثورة الفرنسوية والثورة المحمدية ، وفي مبادىء الثورتين ومن ثمة بين الثورتين ، الثورة الشيوعية والثورة المحمدية ، وأية ثورة غيّرت وجه البشريه وانصفت . وأية ثورة من الثورات تلك اشترعت «حقوق الانسان» بشعائر حقوق الانسان : المساواة ، والحرية ، والعدل ، والاخاء والتسامح ومن ثمة نقابل بين الاسكندر الاكبر .

الاسكندر الذي فكـّر في توحيد العالم وتكوينه امبراطورية

واحدة عاصمة تلك الامبراطورية الفرات في العراق، ونابوليون وشخصيته الجذابة ، وكرومول وبطرس الاكبر .

نقابل بين هؤلاء كقواد والرسول العربي كقائد ، ومن ثمة نتحول الى الشعور الرقيق العذب فنقابل بين فيكتور هيغو ودنت وشكسبير وامثالهم من الشعراء والرسول العربي وشعوره .

صادق – اصبتم ، اصبتم دعونا نقابل ... ان في المقابلة هداية، وان في مناظرة الفئة الراقية المنصفة لذة ، واني لارغب اليكم واوجوكم ان تناظروا بالحكمة والموعظة الحسنة لان قرآننا الكريم يقول « وجادلهم بالتي هي احسن » ، ويقول « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

المؤلف – اذن نبتدىء بالثورة الفرنسوية .

ليون – أجل ، أجل .

المؤلف – في اي قرن ايها السادة اضرمت الثورة الفرنسوية نارها؟

وفي اي قرن اعلن الرسول العربي ثورته الدينيـة ، والتشريعية ، والادبية .

ليون – اشتعلت الثورة في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي اما ثورة رسولك محمد بن عبدالله الذي ملأتَ الدنيا العربية تأذيناً بقولك انه السوبرمن الاول العالمي ففي اوائل القرن السابع المسيحي .

المؤلف – الا تعتبرون اذن – ان للقرون – واختبارات البشر تأثيرها وتثقيفها ؟...

ليون – بلى ، نعتبر .

المؤلف – اننا نهبك يا سيد ليون ثروة الاختبـــارات ودروس القرون ، وتقدم العقل البشري فقل لنا حفظك الله .

ما هي الاسس التي ارتكزت عليها الثورة الفرنسوية ؟

ليون – الاسس هي اعلان « حقوق الانسان » التي وضعتها الجمعية الوطنية الفرنسوية ونشرتها ليس لفرنسا فحسب ، بل للانسانية بكاملها ، الثورة التي ضحى الفرنسيون نفوسهم في اتون نارها لتغدق النِعَم على شعوب الارض – فالاخاء ، والمساواة ، والحرية ، والعدل ، والمسامحة التي عمّت البشرية ، واصبحت سلاحاً قاطعاً للشعوب الضعيفة – كلها من نِعَم تلك الثورة .

المؤلف – احسنت يا سيد ليون ، أتريد بعد وصفك البليغ لتأثير الثورة الفرنسوية على الشرائع العالمية ان ندرس مبادىء «حقوق الانسان» التي وضعتها الجمعية الوطنية – بنداً ، بنداً ونقابل او تريد ان نقـــابل بين الثورتين ؟؟.

ليون – شعار الثورتين محور درسنا ومن ثمة نضع النقط للحروف فنقابل بين مبادىء الثورة الفرنسوية ومبادىء الثورة المحمدية .

المؤلف – ليكن لك ما تريد يا سيد ، فبأية لفظة من الفاظ شعار الثورة الفرنسوية تريد ان نبتدىء .

ليون – بالحرية ، والمساواة ، والاخاء – الشعار الذي عرفه البند الاول من مبادىء حقوق الانسان هكذا :

« خلق الناس احراراً ومتساوين في الحقوق ، ولا ميزة لواحدهم على الاخر الا بنسبة ما يأتيه من النفع » .

المؤلف – بندك الاول ايهـــا السيد ليون قال به الرسول العربي

العظيم – والفضل لمن وضع الاسس اولاً – اليس كذلك ؟ .

بلى .

قال به هكذا « الخلق كلهم عيال الله ، فاحبهم اليه انفعهم لعياله » .

« خير الناس من ينفع الناس » :

« رأس العقل بعد الايمان بالله التحبب الى الناس واصطناع الخير الى كل برّ وفاجر » .

« لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض و كونوا عيال الله اخواناً » .

« لا يكمل ايمان احدكم حتى يحبّ لاخيه مـــا يحبّ لنفسه » وجاء في الاثر :

« الانسان اخو الانسان أحبّ ام كره » .

ولقد ذكر القرآن الكريم في سورة الانعام تحديداً للمساواة الجامعة الشاملة ، والاخاء البشري الخالص النسب ، النزاع العرق .

لقد حدد القرآن الكريم المساواة والاخاء بما لا يقدر افضل مستبطن لدخائل العلم ان يجيء بمثله او بما يشبهه قال :

« وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون » .

اما الرسول فقد عرف الاخوّة الطاهرة البريئة الوادعة تعريفاً علمياً اجتماعياً لا اعتقد ان الثورة الفرنسوية او رجال الاجتماع جاؤا بمثله او بما يشبهه ويضارعه ، ولا اعتقد ان نابغة من نوابغ الامم قال بالاخوّة البشرية السليمة الطاهرة بغير ما قال به الرسول العظيم قبل الثورة الفرنسوية باثني عشر قرناً .

توفيق – ماذا قال ؟ ماذا قال ؟

المؤلف – قال: « من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت اخوته » .

واجمل من هذا وذاك قوله في خطبته يوم فتح مكة :

« الناس من آدم ، وآدم من تراب » .

وقول القرآن :

« يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

ليون – والجهاد يا هذا والجهاد .

– الجهاد اشترع لتحقيق الايات والاحاديث التي سمعت ، وحماية هذا الشرع الانساني الصالح ، وصيانة الحرية الشخصية والعدل والايات القرآنية السامية الرفيعة انصع برهان وشاهد .

ليون – وماذا قالت الايات القرآنية .

المؤلف الايات وردت هكذا :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » .

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » .

ولقد فسر هذه الآية الكريمة قاضي بيروت الشرعي الشيخ مصطفى الغلاييني بقوله : والسواء العدل والاستقامة والمعنى ان تخف خيانة قوم قد عاهدتهم فاطرح اليهم عهدهم عادلاً فيهم ، مستقيماً في معاملتهم ، ولا تبدأ بحرب قبل ان تنذرهم طرح العهد بسبب خيانتهم فان لم تفعل ذلك تكن خائناً مثلهم » .

وان شئت برهاناً وضاء غير ما ذكرت ، برهاناً وضاء في دافع الجهاد وسببه الجوهري فاسمع الاية الرفيعة التي وردت في ذلك :

« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله » .

اذن نزل الوحي بالجهـــاد لتهذيب الظلاّم الذين ساموا الرسول وصحابته سوء العذاب ، واضطهدوه ، ورجموا اتباعه بالحجارة ، واخرجوا بعض اصحابه الى الرمضاء وقد عرّوا من ثيابهم فالقوا على اجسامهم الحجارة الضخمة ، وعذبوهم بالحديد المحمي بالنار ...

صادق – واذكروا ايها السادة انه – ان الرسول بعد انتصاره لم يمثل بمخالفيه وخصومه ولم يخترع مقصلة تعجل في قتل الاشراف ابرياء كانوا ام ظالمين .

اجل لم ، يخترع المقصلة ولم يظلم الاغنياء والاشراف لانهم اغنيـــاء واشراف وما استولى على اموالهم ، وممتلكاتهم ، وحلى نسائهم .

لقد عمل الرسول بشرع الله « ولا تزر وازرة وزر اخرى » لقد حقق الايات الكريمة .

حاكم الظلاّم والمعتدين وسامح وعفـــا عمن شعر وادرك انهم يصلحون نفوسهم ، ويؤمنون بالحق ، ويعملون بالهدى .

« وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » .

« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا واصلح فأجره على الله ، ان الله لا يحب الظالمين » .

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

المؤلف – ومن رفاعة عزته ، ورقة اخلاقه ، وسمو شعوره ، انه عفا عن خصومه الالداء في ساعة اقتدار وقوة . وعفا عنهم دون ما تمنن وعفا دون ان يذكر لفظ عفوت لئلا يذلّ نفوسهم ، ولئلا يفهمهم انهم كانوا ارقاء وعبيداً .

لقد قال بصوته العذب الجهوري لاعداء الحق والحرية ، والمساواة ، وهو في صدر الكعبة يوم الفتح .

« اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وهكذا هذب نفوسهم ، واكرمها . وبدّل ضمـــائرهم ، وروّض سرائرهم وابدع من عقولهم الشريرة المملوءة ضغناً ، وغلا ، وحقداً ، عقولاً بريئة ، وادعة ،صالحة ، فجعلهم قوة خير ، يشد بعضها ازر بعض في سبيل الحق .

صادق – اننا لا نفهم « الجهاد » بالشرع المحمدي مقـــاتلة المعتدي والظالم فحسب بل نفهم الجهاد ، القيام بالواجبات العائلية ، والاجتماعية ، والعمل ، والكسب الحلال :«طلب الحلال جهاد » .

ولقد عرّف الرسول الجهاد في الحياة الاجتماعية بعد عودته من واقعة حربية انتصافية بقوله مخاطباً صحابته .

« لقد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » .

ولقد ورد في السنّة ان الرسول بينا كان جالساً مع صحابته نظروا الى شاب ذي جَلَد وقوة قد بكّر يسعى ويجاهد في الشغل والعمل فقالوا : « ويح هذا لو كان شبابه وجَلَده في سبيل الله » فقال الرسول « لا تقولوا هذا ، فان كان خرج يسعى على ولده صغاراً ، فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين ، فهو في سبيل الله » وان كان خرج يسعى على نفسه ليعفها ، فهو في سبيل الله .

هل سمعتم بجهاد طاهر بريء كهذا الجهاد ، وهل سمعتم حكمة في الحياة العملية تسمو هذه الحكمة ؟.

تلكم نصيحة الرسول العظيم من ناحية الجهاد الايجابية ، اما الناحية الثانية التي توضح هذه وتشعل منارات في طريقها ليسير الناس جميعاً في طريق الهداية فقوله في حديث شريف : « لان يأخذ احدكم حبلاً ثم يغدو الى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من ان يسأل الناس » .

ان سؤال الناس يذلّ النفوس ، ويحقر الرجال والرسول انما يريد من تثقيفه ان تحترم النفوس وتعتز وتسمو .

ولقد قبح التوكل والتساند ، ونفر من الكسل حتى وان كان المتوكل المتساند الكسول - يصلي ويضرع ، ويكثر الذكر لذا قال للصحابة وقد اثنوا على رجل هكذا :

قال الصحابة : يا رسول الله ان فلاناً يصوم النهار ، ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال ايهم يكفيه طعامه وشرابه ، قالوا كلنا فقال :
« كلكم خير منه » .

فهل عرفت البشرية حارساً للاخلاق النبيلة وحارثاً للنفوس ابدع أسس العزة فسائل – فاشجاراً فاثماراً – اسمى وأنبل من هـذا الحرث النبوي .

وهل علمت بجهاد حصين سليم صادق اطهر من هذا الجهاد .

لقد عرف عمن اقتبسوا وتصبّروا هكذا .

عرف عن علي امير المؤمنين رضي الله عنه انه قال جعت يوماً فخرجت اطلب العمل في عوالي المدينة فاذا انا بامرأة قد جمعت مذراً تريـد بله فقاطعتها كل ذنوب « دلو » على ثمرة فملأت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يدي « ظهر فيها ندوب » ثم اتيتها فقلت يكفي هذا «واشار ان بسطها لها لترى مجلها فتوفيه اجره » فعدّت لي ست عشرة ثمرة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فتهلل وأكل معي منها .

وهكذا نفهم الجهاد في طلب الرزق الحلال .

« وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله »[1] .

المؤلف – الا تتلمس فواكم المفكرة العـاقلة وانتم من الباحثين المدققين الذين يجيدون الاستنتاج ويحسنونه ، ان الوحي قدم في الاية القرآنية النورانية ، التي استشهد بها السيد صادق في ختام محاضرته .

ان الوحي قدم جهاد التجار على جهاد المقاتلين .

ألا تتلمسون من تقديمه التجار في الذكر على جيش المحاربين ، نبؤته عن القرون الاوروبية الاخيرة .

---

(١) قرآن كريم .

ان دول اوروبا منذ اربعة قرون وهي ترسل التجار طلائع يمهدون السبل امام جيوشها المستعمرة الغازية .

ان التجار الاوروبيين باشروا في استعمار المشرق قبل الجنود الاوروبيين ، وقبل رجال السياسة الاوربيين .

لقد كان التجار كشافة وسرايا ، مهّدوا الطرق ، واعدّوا النفوس من تجار بضائع ، الى تجار علوم وتثقيف وتهذيب !!. ومحتكرين ..

الى تجار رقص وفنون جميلة! الى عمال مطربات مسكرات الى والى.

انهم كلهم عملوا على استعمار الادمغة ، واحتلال النفوس ، فتملك المصالح الوطنية ، والمشاريع الحيوية .

وبعد هذه الكشافة والسرايا ، ارسلت دولهم جيوش الحرب وعِددها النارية فكان الغرب مستعمراً ، « بكسر الميم » وكان الشرق مستعمراً « بفتح الميم » .

توفيق – لقد توسعنا في البحث ، فلترجع السيف ولنغمدة في قرابه او كما يقول الفرنجة لنضع النقط للحروف ولنبحث في المساواة والعدل.

يعرفي ايها الباحثون ان التشريع الحق اذا كان جميلا وصالحاً ومخلصاً فاجمل منه واصلح ان يعمل المشترع بما اشترع وسن ، فهل عمل الرسول بالمساواة ، التي اشترع ، والعدل الذي سن؟ وهل حقق صحابته تلك المساواة ، واقسطوا بين المسلمين والمسلمين وبين المسلمين وغير المسلمين ؟

المؤلف – هذا سؤال متصل السلك ، متناسب البحث ولكنني

اسألكم بدوري هل أقيم حد المساواة في الغرب بعد الثورة الفرنسوية واعلان حقوق الانسان ؟

ألا يزال للملوك امتيازات ، وللاشراف امتيازات ، ولاصحاب الرتب والالقاب امتيازات، ولرجال الدين امتيازات، ولحاشية الملوك والاشراف تفضيل وامتيازات امام القانون العام .

ألا ينسج لهؤلاء ، امام القانون العام ـ اثواب غير الاثواب التي تنسج للشعب المسكين .

ان هؤلاء لا يدفعون المكوس والضرائب .

ألا تحسون ان تلك الدول الغربية تميز اليوم فريقاً كبيراً من رجال الدين يملكون ثلث ارض البلاد وثلث عقارات الوطن .

وانهم رغم املاكهم كلها يعيشون في جنة من الامتيازات المالية .

ارضهم معفاة ، مكوس الجمرك يعفون منها ، وتحمل اليهم مستورداتهم ضعف اضعاف ليتاجروا بالزيادة ويجمعوا ذهباً .

ان ضرائب المرافىء يدفعها، دفعات غير مباشرة ، الشعب العامل المجاهد الكادح .

نعم يدفعها الشعب المسكين الذي يسأل عن أود عياله .

ألا تشعرون ان تلك الفئة تنكر الواجبات الوطنية كلها ويطلب فردهم حقوق مئة والف من ابناء الشعب وعمال الشعب وينالها .

أشريعة عادلة تلك الشريعة التي تهب الغنم كل الغنم لقوم يكنزون الذهب والورق وهم جلوس في مرابطهم ...

تهب الحكومات وتهب تلك الدول التي تنادي بحقوق الانسان ،

تهب الكسالى الحاملين الخيرات كلها من جهاد العمال المساكين ومن سهر جنود البلاد وشقائهم وشرطة البلاد .

اولئك وهؤلاء يحفظون الامن ورغم ذلك لا ميزة لهم، والكسالى يعفون من كل ضريبة .

أيكون حد المساواة بعرف الدول القائلة بحقوق الانسان، وبحقوق المساواة امام القانون وامام الواجبات الوطنية ما عرفتم وادركتم .

أيكون حد المساواة محققاً بزيادة المكوس على العمال المستضعفين لتجمع الخزينة الدولية حاجتها ويعفى فريق من ابناء البـــلاد ويميز وينال فردهم حقوق مئات وتسمون ذلك مساواة امام القانون ؟.

لا اعلم كيف يعتبر هؤلاء وامثالهم وطنيون وهم يرعون في مرج من الحقوق، وجنة من الامتيازات ولا يقومون بواجب من الواجبات. اني والقلم والنور لأعيذ الحرية ، واربأ بالمساواة ان تتلوّنا بهذا اللون وتصطبغا بهذا الصباغ .

دعوني بفاكراتكم عن هذه المواطن وانتم في منزلي لئـــلا اصدف بنفسي وتنفرون بشخصياتكم من الاسترسال في البحث .

اذن لنبتعد عن هذا لئلا استثير عاطفة الالم في صدوركم ، ومن ثمة استفز الغضبة الثائرة ، ولنرجع للمساواة في الشرع المحمدي .

ليسمع كل فرد شكك في رفاعة السوبرمن الاول العالمي وشرعه .

ليسمع وقائع تاريخية لا الفاظاً خلابة مصوّرة بيد متفنن ساحر القى يده على الورق فنسج رسوماً تخدع الباصرة وتضلل الفكر .

تريدون ان تعرفوا اذا كان السوبرمن الاول العالمي ورسولي .

نعم رسولي السامي النبيل ، قد اقام حد المساواة على نفسه قبل ان يقيمه على اتباعه .

اذن اسمعوا حفظكم الرحمن الرحيم .

لما بركت ناقة الرسول وهو مهاجر الى يثرب .

لما بركت على مربد سهل وسهيل ابني عمرو ، ابتاع الرسول الارض ودفع ثمنها وأشار ببناء المسجد .

فلما دأب المسلمون من المهاجرين والانصار على البناء ساوى نفسه بهم وهو القائد العام وسفير الله فعمل ببناء المسجد بيديه ليحقق حديثه :

« لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

ولما قدم وفد النجاشي ، قام يخدمهم بنفسه ، يخدمهم بيديه وفكره وعمله وجهوده ولما قال له اصحابه يكفيك قال :

« انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم » .

ولما سار في السنة الثانية من الهجرة لتثقيف بني قريش في الواقعة المعروفة بالسير باسم واقعة بدر الكبرى الانتصافية كانت إبل المسلمين سبعين بعيراً جعلوا يعتقبونها كل اثنين منهم ، وكل ثلاثة ، وكل اربعة ، يعتقبون بعيراً وكان حظ الرسول كحظ سائر اصحابه فكان هو وعلي بن ابي طالب ، ومرثد بن مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً .

وفي الخامسة والعشرين من ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة سار الرسول والمؤمنون الى بيت الله الحرام ليؤدوا فريضة الحج الاكبر فلما بلغوا ذا الحليفة واحرموا في صباح اليوم الثاني لبس كل منهم ازاره

ورداءه ولبس الرسول كما لبسوا ، لبس ازاراً ورداء — زيّ هو أبسط ما يكون زياً .

وذبح صحابته يوماً شاة وابتدأوا باعدادها فقام الرسول يحتطب لشوائها ، فلما استكبر الصحابة وعجبوا بعمل الرسول العظيم قال: حسبي ان اعمل كما تعملون .

واذا كانت نفوسكم ايها السادة تحنّ الى المساواة العملية والى التضحية باعزّ ما يملك الانسان اجلالاً للمساواة فاسمعوا رعاكم الله واعتبروا كيف يلقي الرسول اروع عبرة في المساواة الحقة. اسمعوا كيف يساوي بين حقوقه الشخصية وحبه النبوي وبين الناس جميعاً .

اسمعوا سنته الذي اشترع وسنّ .

اسمعوها من فمه المطهّر في اعظم موقف وقد ملك كل القوة الدنيوية وكل السلطان وجلس على قمة العزة .

اسمعوا واعتبروا في كيف انه لم يسنّ الشرع للمساكين المستضعفين ويميز الاقوياء ليستثمروا الضعفاء وان كان الاقوياء — شخصه واهله وصحابته واقرب الاقربين اليه وأحب الناس الى فؤاده .

قال — مما قاله في الخطبة النبوية المعروفة بخطبة الوداع :

« ايها الناس اسمعوا قولي فاني لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابداً » .

« ايها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا » .

وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم وقد بلغت فمن كان عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .

وان كل ربا موضوع ولكم رؤوس اموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون .

قضى الله انه لا ربا . وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وان كل دم كان في الجاهلية موضوع وان اول دمائكم اضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

اسمعتم ايها الادباء عمل الرسول العظيم .

سعد – حسبك! هذا لقد روّضت نفوسنا، وثقفت غرورنا وقتلتنا.

« وسمع حركة سائر » .

– لقد حضرت القهوة فتفضلوا . . .

بينا الجماعة يتناولون أكواب القهوة تفرّست في الوجوه ، فاذا في كل عين دمعة .؟

دمعة ايمان واكبار وتمجيد لرسول العرب والامم . . .

ليون – « بعد القهوة » . . . باحترام واجلال نقول اننا صدقنا وآمنا ان الرسول العظيم عمل بما علم ولكن صحابته .

هل تصير صحابة الرسول – الرسول في شرعه وسنته لندرك تأثيره الشخصي واقتناع معارفه بصدقه وامانة سفارته ؟

المؤلف – صحابته يا سيد ؟

ليون – نعم صحابته وخلفاؤه

المؤلف – اذن اسمع واسمعوا :

روى عبد الكريم عن انس – ان رجلاً قبطياً من اهل مصر اتى عمر بن الخطاب الخليفة الثاني فقال :

« يا امير المؤمنين عائذ بك من الظلم » .

عمر – عذت معاذاً .

القبطي – سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول : « انا ابن الاكرمين » فكتب عمر الى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم ابنه معه – فلما قدما ودخلا على امير المؤمنين قال عمر للقبطي المصري بعد ان تحقق صدق روايته – « اضرب ابن الاكرمين واضربه في مجلسي » .

قال انس : فضربه والله لقد ضربه فما اقلع عنه حتى تمنينا انه يرفع عنه ثم قال عمر للمصري . ضع السوط على صلعة عمرو ، فقال القبطي : يا امير المؤمنين انما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه فقال عمر لعمرو :

« منذ كم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً » .

قال : يا امير المؤمنين لم اعلم ولم يأتني .

ارأيتم يا اصحابي – شمس المساواة امام القانون والحق العام .

... ارأيتم ان القصاص وقع في مجلس امير المؤمنين . ءأدركتم ان الحضور كانوا عادلين ومنصفين وقد اقتبسوا عن الرسول طهر شرعه لذا رغبوا رغبة امير المؤمنين في القصاص . فقال انس « لقد ضربه ونحن نريد ضربه » أسمعتم كيف خيّر عمر القبطي المصري في ضرب عمرو حاكم مصر لانه لم يفتش عن المظلومين فينتصف لهم من ظالميهم .

أسمعتم كيف عرف حرية الانسان وكيف ساوى بين الانسان والانسان امام القانون وكيف عرف ان الظلم عبودية .

اسمعتم كيف افهم الشرع المحمدي العالم ، ان على سادة الشعوب واجبات مثلما على رعاياهم .

لقد ساوى خلفاء الرسول الرعية حتى في الصدقة من بيت مال المسلمين والمشهور عن عمر انه رأى شيخاً نصرانياً يسأل عند باب المسجد فقال مخاطباً اياه وقد رقّ له « ما انصفناك يا هــذا اخذنا منك الجزية فتى . وأضعناك شيخاً » ثم فرض له من بيت مال المسلمين – مالاً – يتقاضاه طول حياته ورفع عنه الجزية .

ليون – ان الحادثة الاولى تتفق والبند الثاني من «حقوق الانسان».

ان البند الثاني يعلن ان القصد من كل ادارة سياسية هو المحافظة على حقوق الانسان الطبيعية وهــذه الحقوق هي الحرية ، والمال والامن ، ومقــاومة الظلم ، كما انها تتفق مع المادة الرابعة من دستور الثورة وحقوق الانسان تتفق والبند القائل « ان الحرية السياسية هي عبارة عن المقدرة على عمل كل ما لا يضرّ بالآخرين فممارسة كل انسان لحقوقه الطبيعية ليس لها حدود الا تلك التي تضمن لكل انسان آخر الحرية بممارسة الحقوق ذاتها وهــذه الحدود معينة في الشريعة » .

المؤلف – شكراً يا سيد ليون ولكن اذكر حفظك الله ان البند الثاني والرابع الى آخر البنود لم يقتبسها الشــارع العظيم من دستور الثورة الفرنسوية .

ليون – تريد ان تقول ان « حقوق الانسان » التي وضعتها الجمعية الوطنية في الثورة الفرنسوية مقتبسة ومستوحاة من الشرع المحمدي .

المؤلف – وهل من ريب في ذلك .

هل من ريب ان جامعة باريس عاشت ستماية سنة من مترجمات الكتب العربية الا يقول غوستاف لابون ان العرب هم الذين مدّنوا اوروبا في المادة والعقل والخُلق .

ألا يقول كارليل في العرب « قوم يضربون في الصحراء كانوا نكرة عدة قرون فلما جاء النبي العربي اصبحوا قبلة الانظار في العلوم والمعارف وكثروا به وعزوا ولم يأت عليهم قرن حتى استضاءت اطراف الارض بعقولهم وعلومهم » .

ليون – اصبحنا في فتنة يا هذا ونخشى ان تقنعنا بكياسة وظرف ان كل سمو انما اقتبس من الشرع المطهر المصطفى !!... من شرع رسولك العظيم وسنته !... وان الثورة الشيوعية التي غيّرت صفحة التكوين الاجتماعي في القرن العشرين وهزّت الشرائع العالمية هزاً عنيفاً، دموياً ، اقتبسها مشترعوها من الشرع المحمدي ؟

صادق – قد تحول ثورة الشرائع الاجتماعية كلها وتسفك دماء – بعدل وقد تنفجر ثورة اجتماعية فتذبح الملايين لمبادىء خيالية باطلة فليذكر لنا واحد منكم اسس المبادىء الشيوعية التي حطمت عرش القياصرة ، والهبت شرائع الاجتماع الجوفاء !. وللمؤمنين بالشرائع المحمدية قسطاس ومرجع .

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر

منكم * فان تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً » .

واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ، ولو ردّوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطون منهم ..» .

ولغير المؤمنين برسالة الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم – عقول محللة ، وعلوم وضمائر مقسطة تجيد الدرس ، وتجيد الحِكم .

ليون – اصبت . اصبت .

المؤلف من منكم يعلم اسس الشرائع الشيوعية والمبادىء الطاهرة العلمية التي ترتكز عليها .

« توفيق وهو الشاب المتطرف في عقائده السياسية وقد اعتنق في ماضي حياته المبادىء الشيوعية – ينتفض انتفاضة من مسه سلك كهربائي ويقول :

ان منهاج الانترناسيونال الثالث يلخص فيما تسمعون :

اولاً – الغاء ملكية الافراد للاراضي ، واعتبارهـــا ملكاً للدولة مؤجرة للافراد الذين يدفعون اجرتها للحكومة .

ثانياً – فرض ضريبة تدريجية على الدخل .

ثالثاً – الغاء حقوق الوراثة .

رابعاً – انشاء مصرف مركزي يتولى هو وحده اقراض الاهلين .

خامساً – جعل جميع طرق النقل والاتصـــال من سكك حديدية وبواخر ، وقطر ترام ، وتلغرافات ، وتلفونات ملكاً للدولة .

سادساً – توسيع نطاق المعامل ؛ والمصانع التي تملكها الدولة .

سابعاً – انشاء جيش من العمال للزراعة والصناعات الوطنية .

ثامناً – تنظيم العلاقة بين الصناعة والزراعة .

تاسعاً – الغاء الفروق بين الطبقات وجعل السلطة المطلقة بيد العامة

عاشراً – الغاء النقد ورؤوس الاموال ومنح كل فرد من افراد الامة ما يحتاج اليه ، واخذ ما يفيض عنه .

حادي عشر – يقول كارل ماركس ان : ان الدكتاتورية هي شرط لازم من مبادىء الشيوعية .

المؤلف – ان الغاء ملكية الافراد ، وتسليم الحكومة وحدها المصرف المركزي ، وطرق النقل والاتصال ، والمعامل – كما تقرل المادة الاولى ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة . فمعناها ان واضعي هذه الاسس يتصورون الحكومة قسطاس حكمة ، وميزان عدل ، حتى اذا ما حكمت حكماً مطلقاً دكتاتورياً انصفت الناس كافة .

انها لقصيدة شعرية خيالية بزت الوانها وصورها – الوان قصيدة دانتي وصورها اما من ناحية التشريع المحمدي فانها بمثابة احتكار .

احتكار فئة كبرى من البشر جلست على كراسي الحاكمية لتتصرف بمطلق الحرية والسلطان بمقدرات البشر ، ونشاطهم وجهودهم . انها تبدل احتكار شركات باحتكار جيش من رجالات السلطة ، الله اعلم بسرائرهم .

وان الاحتكار ايها الادباء محرّم في التشريع المحمدي .

قال المشترع الاعظم في احاديثه :

« الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون » .

وقال : « بئس العبد المحتكر : ان ارخص الله الاسعار حزن، وان اغلاها فرح » .

وفي وصية الامام علي: الوصية التي هي دستور حكمة للوالي الحاكم . في وصية الامـــام السامي للاشتر النخعي لما ولاه على مصر قوله موصياً بالتجار وذوي الصناعات :

« واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعـــامة وعيب على الولاة . فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه . وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل ،واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعـد نهيك اياه فنكل به وعاقب في غير اسراف » .

صادق – اما البند الثاني القائل بفرض ضريبة تدريجية على الدخل ، فليس في هذا التشريع ابداع واستكشاف لان الزكاة والصدقة من اسس التشريع المحمدي. امـــا البند الثالث القائل بالغاء حقوق الوراثة فمناقض للشريعة الالهية التي تعلن بصراحة الفرائض في سورة النســاء « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قلّ منه او كثر – نصيباً مفروضا » الى آخر ما ورد في الفرائض وكلها تأمر بان يرث الاهل الاقربون لا الحكومة.

اما البند التاسع القائل « بالغاء الفروق بين الطبقات وجعل السلطة المطلقة في يد العامة » فانه تشريع لا يقرّه عقل ولا يتسامح به منطق ، لان الانسان يتفاوت في اخلاقه ، وكفاءته ، وقواه العقلية والجسمانية

ونشاطه تفاوتاً يزيد او ينقص وليس بين العلوم البشرية ما يخالف هذا التفاوت الحقيقي « ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات » فهل من العدل ان ينال العامل الخامل العقيم ما يناله النبيه الذكي النشيط .

سعد — وهنالك تشريع للشيوعية ما ذكره الرفيق توفيق - يتعلق بالله ، والالحاد . ومشاعة المرأة ، وتملك الحكومة — الاطفال — بعد الثانية من عمرهم .

انه لتشريع يناقض العقل كما يناقض شريعة المشـــترع الاعظم السوبرمن الاول العالمي .

محمد بن عبدالله

كما يسميه صديقنا الاستاذ —

صادق — ذاك تشريع ذكره السيد سعد ، غرّ به مرّ الكرام .

المؤلف — اذن لا توافق بين الشرع المحمدي السامي الجليل والشرع الشيوعي . جل ما يفهمنا اياه هذا التشريع ان فئة كبرى من البشر ظلمت من فئة انغمست في الظلم وتمرغت في اتون الاستبداد فنفذت بها الشريعة التي اعلنها الامام علي منذ اربعة عشر قرناً .

« ان يوم المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم .

ليون — حقا ان الشرع المحمدي غني في التشريع الالهي والاجتماعي فاجلسوا الى موائدكم ، وكلوا منها طيباً ، انكم بغنى من فضل ربكم عن الاستعطاء التشريعي واستجداء فضلات موائد الاغيار .

حسبكم ان تكونوا يقظين ، نابهين ، مخلصين لتقتطفوا من شرعكم السامي — انبل الشرائع واطهرها — تعيدكم الى حظيرة الحق والهدى فتنتصف الروح ، وينتصف العقل ، وتنتصف اليد العاملة .

صادق – حقا يا سيد ليون انك من رجال العلم المثقفين المحللين .

سعد – للمؤلف – الموضوع بحر زاخر متدفق ، وفضاء لا متناه فاذكر لنا بحقك مثلاً واحداً عن العدل غير ما ذكر في كتابك .

توفيق – اجل ، اجل ، كادت الساعة تدق الثالثة بعد منتصف الليل فلنسمع مثلاً واحداً عن العدل ونظل على موعد ، على موعد اغر .

المؤلف – اصبتما ، اصبتما ، لنختم محاضرة اليوم ، بمثل واحـــد عن العدل عن عدل الرسول ، عن عدله في القضاء اليس كذلك .

كلهم – نعم . نعم .

المؤلف – تعلمون ان اليهود في عهد الرسول استثاروا العرب عليه ، وبعضهم خانوا عهده ، وإحداهن القت السم في شاة اكل منها الرسول ، وما استساغ اكلها .

ليون – نعلم ذلك نعلمه .

المؤلف – اذن اسمعوا عدل القضاء ، عدل الرسول العربي ، اسمعوا عدل السوبرمن الاول العالمي :

سرق طعمة بن ابيرق ، الذي كان حديث العهد بالاسلام ، درع قتادة واتهم من ليس بينه وبينهم واشجة نسب .

اتهموا زيداً بن السمين اليهودي .

وهكذا استمسك طعمة ، وقوم طعمة ، ببراءة طعمة .

ظنا منهم « وبعض الظن اثم » ان الرسول يجرم اليهودي لانـــه يهودي ويقبل يمين المسلم وشهادة المسلمين ويبرىء السارق لانه مسلم .

رفع المتداعون امرهم الى الرسول القاضي فشرح طعمة وقوم طعمة القضية بالشكل الذي بيّتوها فيه ...

تأمل الرسول ، تبصّر القاضي – في المتداعين – والمتقاضين والشهود.

تأمل بعينين ملكتا الاشعة الخفية قبل ان عرف العلم تلك الاشعة واستكشف سرها الدفين .

تأمل الرسول القاضي فحكّ تأمله في صدره اشياء ... اشياء ... وجدت مساً اليماً في فؤاده ... وقضاً موجعاً في سريرته .

مساً طار الى جنة الرحمن الرحيم .

وقضاً استثار السماء واستنزل الوحي فسمع المتداعون انبل حكم سمعه سكان الارضين على منبر القضاء .. واعلن اطهر عدل عرفه البشر الانسيون من عدل السماء .

سمعوا آيات تعلن سرهم ، وتذيع خبرهم ، وتعظ وعظاً مريراً سرائرهم .

تؤملهم بالغفران اذا ما تابوا .

تؤملهم بذلك لان عدل الرسول كان انصافاً ، وثقافة ، وتعليماً .

وفي ذات الوقت – تفيض – على قضاة العالم ، على كل من جلس على كرسي العدل درساً هبط من السماء الى الارض ، وجمع بآيات محدودات هي مجلدات حكمة للشارحين ... هي مجلدات نور للمحللين الدارسين .

آيات تليت بعذوبة الرسول – اسمعوها كما وردت في سورة النساء .

« يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً » :

« ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عنهم وكيلا » :

« ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » « ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً »

« ومن يكسب خطيئة او اثماً ثم يرمي به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً » .

« ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون إلا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » .

« يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين » .

هكذا صان الرسول العربي العدل في عزة لا تقهرها طائفية .

ليون — انه لعمل السوبرمن حقاً يمنع حوزة البريء غير المسلم ويحكم على المسلم .

يستخبر الرسول السماء ، وينادي رب السماء ، وسفراء السماء — ليعلن براءة رجل اضطهد الرسول ابناء ملته وطائفته !..

آمنت بما ورد في كتابك الاول ، آمنت وصدقت وفهمت كيف يكون السوبرمن الاول العالمي .

كلهم — لقد فتنتنا برسولك يا هذا ، لقد فتنتنا حقاً .

فقل لنا ماذا يقول المؤمنون في الرسول لنردد ببراءة مبرورة ، وقلب نقي ما يقولونه .

المؤلف — ان المؤمنين يقولون :

ان الله وملائكته يصلّون على النبي .

يا ايها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما .

فقال ليون :

ايها العلماء الاميون ، ايها القضاة العالميون .

يا ايها الذين تعشّقوا الحق ، والعلم ، والعدل ، والسلام والسمو ، من غير المسلمين .

مجّدوا الحق ، والعلم ، والعدل ، بشخص الرسول العربي العـــالمي ، وعظّموا السلام والسمو بتعظيمه ...

**

واذا بالحضور كلهم ، وبصورة ميكانيكية ، يرددون في تلك الساعة الهادئة من الليل آية ليون ويختمون الآية :

ان الله وملائكته يصلّون على النبي .

يا ايها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً .

**

وما هم ان بلغوا الرتاج الخارجي حتى عاد توفيق وقال ثق يا استاذ اننا على موعد .

المؤلف ـ اجل ، اننا على موعد ايها السادة ، اجل ، اننا على موعد .

الشخصية المقدسة

التي تجسد في كونها الفكر والشعور السامي والرحمة والمساواة والحق

عندما اقامت جمعية التمدن الاسلامية المحترمة حفلة نبوية تكريمية للمؤلف في ندوة المجمع العلمي العربي – القى المؤلف محاضرة – هي من صلب موضوع الكتاب وقلبه ، ورتقيه – لذا – ننشرها في مطوي صفحات الكتاب . ولقد فاتنا ان نذكر في الكتاب الاول ان عالمين جليلين كانا من خطباء الحفلة هما من اعضاء «المجمع العلمي العربي» العلامة الاستاذ الشيخ عبد القادر المبارك والاستاذ عز الدين علم الدين التنوخي . اما المحاضرة فاليكها :

في فسحة من الارض ايها الناس ... في حديقة ... في بستان يزرع الزارع العامل ، النبيه ، اليقظ .

يزرع النخل ، والاعناب ، والتفاح ، ويزرع الارز والصنوبر « انثى الارز » ويزرع الزيتون ، والسنديان ، ويزرع الفلفل ، والكينا ، والشنكر ، والحنظل .

كل هذه الاشجار ، والنباتات يغرسها في فصلها ، وفي التربة الصالحة لنموها ، فتعيش الاشجار ، والنباتات وهي تمدد جذورها في الارض متماسكة ؛ متغذية وتصعّد ادواحها في الفضاء متهللة ، متنفسة ، حتى اذا مرّت الفصول على غرسها ، وآن اوان ثمرها ، ازهرت متلهبة للقيام

بواجب التجدد والتكوين ، متوثبة لقداسة التضحية ... فرقصت .

رقصت رقصة النسيم ، ورقصة الهواء ، ورقصة العاصفة .. وانشدت وغنت ، انشدت نشيد النسيم البليل ، وغنت غنـــاء الطلّ المنهمر ، وصفقت .

صفقت صفقات العاصفة الهائجه ، وخمرت .

خمرت ، خمرة الهواء المعطر ... وغازلت .

غازلت مغازلة الانسيات الجميلات المتدللات ومغازلة الحوريات ... وعرست .

عرست – عرس الحيوان ، والفراشة ، والانسان .

فعلت كل ذلك بفيض لقاحها، وتزاوج ذكورها واناثها ، لذا تثمر كما يثمر كل حي وكل موجود . فاذا المعادن ، فاذا العواصف ، فاذا الهواء ، فاذا التراب ، فاذا الصخور ، فاذا كل هـــذه الكائنات ... وعناصرها الطبيعية قد تحولت في معمل العالم الشمسي اثمار نخل... واثمار اعناب... واثمار تفاح... كلها سكّرية حلوة ... وكلها بلورية الغلاف ، باسمة الوجه ضاحكة .

واذا التراب المحلل في المعمل الكيماوي الطبيعي ، في معمل العالم الشمسي الذي هو ذات التراب قد تحوّل ارزاً ، وصنوبراً ، وزيتوناً ، وبلوطاً ، فيه صمغ ، وفيه عطر ، وفيه متانة وفيه زيت ، وفيه حبوب مغذية للآكلين ... ومقوّية .

واذا التراب قد تحوّل في الامواه الافقية الكونية بالتفاعل الشمسي وعوامل العـــالم الشمسي المعدني الذي هو نفس التراب والامواه والعناصر .

اذا هو نفسه قد تحوّل في شجرة الفلفل ، والكينا والحنظل ؛ حب فلفل حار و كينا مرة ، وعصير شنكر مسمم قدّم لسقراط شراباً قاتلا يوم غضب قضاة آثينا على حرية البحث ، وجوهر العقل ، واعلان الحق ، واذا الحنظل – فظيع الطعم – يهتز منه العصب اهتزازاً عنيفاً ، فتهيج الذائقة هيجاناً شديداً معوذاً .

ذلك لان كل نبات امتص من الارض والعناصر الكونية وجواهرها الفردية ورقصها واعراسها ، ، ما يتناسب وجواهره الاصلية ، وعناصر ذراته التكوينية رغم وجوده كله في حديقة واحدة وفي فضاء تآخى نسيمه وتحابت عواصفه .

كالنباتات تلكم او كالاشجار تلك ايها العرب نحن البشر ؛ كالنخل واشقاؤه ، وكالزيتون واصحابه ، وكالكينا واصدقاؤه – هذا الانسان – ايها المحللون المفكرون .

هذا الانسان الذي هو العالم الصغير – للعالم الكبير كما يقول ابن الاعرابي هذا الانسان لا يقتبس من امجاد الكون والانظمة الطبيعية ، والحياة التاريخية والانسية ، وتجارب الايام ، وعبر الدهر ، وعلوم البشر ، وشرور الناس وخيريتهم ولا يتغذى من الذبائح النباتية والحيوانية ولا يغنم غير ما يتفق مع عناصره الاصلية ، ويتزن مع مواهبه الارثية والعقلية وطبائعه الحيوية .

نحن البشر نطالع الموضوعات كلها ونتعرّف الى عباقرة الانسانية ، واشرار البشر ، فينجذب كل فرد منا الى الناحية التي تتزن وعناصره ، وتتوافق كل الموافقة وجوهر تكوينه وذرات تركيبه . فمن كان محتالاً متلاعباً ثعلباً او ثعباناً تعشّق الثعلب او الثعبان واعجب بايهما وتشبّه وتحدّى .

ومن كان في ذرات كيانه الغدر والجرم ، امتص الغدر وبالجرم غا دماغه .

ومن كان حساساً شاعراً منصفاً ، عزيز الذاتية ، طاهر الوجدان ، تألم لظلم المظلومين وثار على المستعبدين الظالمين .

وأحبّ ، أحبّ منصف المظلومين ، وبشخص المنصف المقدس عجيب .

ومن سلم تكوينه وتجرّد للحق ، ادرك رفاعة الحق ، وبه تغزّل ، وبستحمته استحم - فتطهّر - فكان قائداً نشيطاً من قواده وسفيراً اميناً من سفرائه ...

وانتم ايها العرب

انتم اعضاء مجمع التمدن الاسلامي

انتم ايها البلغاء ، خطباء هذا الاجتماع

وانتم ايها المشاركون بحضوركم

ما كنتم جميعاً لتشرفوني في هذا الموقف ، وهذه الحفلة ، وفي اقدس ندوة في دمشق ، في المجمع العلمي العربي ، مجمع اساتذة فتيان الغد ، وقادة الفكر العلمي فينا .

انتم ايها العرب جميعاً ما كنتم لتفعلوا ذلك لو لم يكن في جوهر ادمغتكم ، وعناصر عقولكم ، وطهر سرائركم معادن للحق والانصاف ومواهب تعجب بالحق والانصاف بهما تغذّت قواكم ، وبهما اكتملت رجوليتكم فاجتمعتم لتكريم من تعشّق الحق والانصاف وبهما بشّر .

بهما بشّر رغم غزوات التوبية ، وجيوش العادات والتقاليد ومعاركها الدامية الدائمة .

كم في هذه الجيوش النارية من صولة ، ومن صلابة وقوة .

المجرّب - يدرك طغيانها ويعلم جور سلطانها . اما المؤلف هذا فلو لم يكن انتصر عليها - رغم اساطيلها ... ما ألّف ... وما طبع ... وما اجتمعتم ...

اجتمعتم لتكريم لبناني عربي كل فضيلته انه ادرك حقيقة رفيعة بعد معارك وجلاد .

وكل ما ادرك ، ما كان غير القليل من صفات السفير الامين

سفير الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبدالله العربي الهاشمي .

اذن انتم تكرّمون اسماً هذا المؤلف وجوهراً تحتفون بمن تجسّد في شخصه الحق الغالب .

تحتفون بأبي العرب جميعاً ، وقطب العرب كافة الى يوم يحشرون . تحتفون بالسوبرمن الاول العالمي **محمد بن عبدالله .**

**

تحتفون وتكرّمون من نصر المظلوم من قوم ولدوا وشبّوا ، وتمرّسوا على اخلاق فظة غليظة ، وصفات طائشة جاهلية فشالت منذ ذلك الحين كفة ميزان العدل ، وهبطت كفة التعدي والظلم ...

تحتفون بمن فضّل عدل ساعة على عبادة العمر ...

« عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة » .

هذه الحفاوة وهذا التعظيم الحق ، بسيد العرب كانا امنيتي القصوى ورجائي الحقيقي يوم عرضت جمعية التمدن الاسلامي الجليلة عليّ اقتراحها في اقامة حفلة تكريمية .

فشكراً والف شكر للجمعية التي حققت امنيتي ، وجمعتكم لنحتفي كلنا في هذا اليوم المجيد بمن أمدّ سلطان العقل بدستور نبيل ، دستور مكّن الانسان من الاكتشافات العلمية والرقي المدني الا وهو دستور التفكّر .

التفكّر الذي سوّده الرسول على العبادة ، وفضّله – فكان – التفكّر مكتشفاً اسرار الله في خلقه ، فأضاء ولا يزال جاداً في الانارة.

« لا عبادة كالتفكر »

« تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » .

تحتفون وتحتفي بمن أدرك عمق الاحساس النفسي فكان في دماغه جنائن زاهرة ، زاهية مثمرة .

« تحتفون بمن كان لكل ذي جارحة في قلبه صدى رحمة » .

« في كل ذي كبد حرى اجر »

« من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة »

**

وتحتفون بمن صيّر الحق قوة ... وقوة رهيبة ، وصيّر القوة عاملة وديعة من عمال الحق .

اما كيف علم المشترع الاعظم حب الحق ، واجلال الحق ، وكيف زرع في الصدور والعقول الجرأة ، والصراحة ، والعزة ، وكيف ساوى نفسه ، وهو البشير النذير المشترع ، القائد العام ، بأي فرد من افراد الناس ، وكيف خشع امام الحق ، معظماً فاليكم ...

في واقعة بدر الكبرى الانتصافية الدفاعية ، بينما كان الرسول

الامين والقائد العام يعدّل صفوف اصحابه وفي يده قدح ينظم به القوم مرّ بسواد بن غزية ، حليف بني النجار وهو مستنتل «خارج من الصف» فطعنه الرسول في بطنه بالقدح وقال : استو يا سواد ، قال سواد : يا رسول الله ، اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني « مكّني فأنتصف منك » .

يا لجلال الموقف ، الجندي يسأل القائد العام المساواة والعدل وفي مثل هذه الساعة الرهيبة في ميدان القتال .

ما غضب الرسول القائد، ما امتهن الجندي ، ما فرض عليه القصاص وكبّله بالقيود بل ، بل . انصفه من نفسه ايها الناس ، انصفه من نفسه نعم وفي تلك الساعة الرهيبة ، وامام الجيش الناظر ، المتبصر ، المعتبر .

كشف رسول الله عن بطنه وقال استقد يا سواد « انتصف ... » فاعتنقه سواد فقبّل بطنه .

قال النبي : ما حملك على هذا يا سواد ؟

قال سواد : حضر ما ترى فأردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك .

الرسول وصحابته واتباعه امام خصوم اشداء يزيدونهم ثلاثة اضعاف عدداً وعِدداً ، امام ابطال جبابرة، وفي اول واقعة كبرى بين المسلمين والمشركين .

رغم ذلك ، رغم ذلك الموقف الرهيب ظل الرسول مطمئن النفس رابط الجأش يقيم السنّة حتى على نفسه ... على ذات نفسه ...

أيدرك الشعراء الحساسون والمفتنون كم في هذا الموقف من جمال وكمال .

«أدركتم ايها الناس لماذا أحب صحابة الرسول – الرسول ، ولماذا اعجب به كل من عرفه ، ولماذا دخل الناس في دينه افواجاً ، ولماذا آمنوا في رسالته ...

«أدركتم لماذا أحبه العرب حب تضحية وفداء .

«أدركتم كيف علم العرب بمثله الصالح ، العزة وعلو النفس، والاباء والجرأة والصراحة ، والحق ، وحصانة الكرامة الشخصية ، فكان العربي ابياً جريئاً ...

بهذه العدالة والمساواة انتشر الدين الاسلامي ايها الناس لا بالسيف .

ليست فضيلة المشترع الكونية ، ان يشترع انظمة وقوانين ، وان يؤمن بسنّة المكوّن الاعظم المبدع الحكيم بل ان يذعن شخصه ذات شخص المشترع ان يذعن اولاً للشرع الذي سنّه ، وان يخضع لشريعة المبدع ، ويعترف بتلك الشريعة جهراً ... كما آمن ، وكما اذعن ، وكما خضع ، وكما اعترف **الرسول** .

قال **الرسول** بالمساواة في الحقوق وكان نفسه زاهداً بمال الارض ، وذهب الناس فهل عمل بقوله ، حسبنا الواقع برهاناً ايها العرب .

في السنة الثامنة للهجرة بعد حصار الطائف ، بعد ان انهى قسمة الغنائم وسار ، تبعه اعراب تجسمت مطامعهم وملك حب الغنائم ايديهم وعقولهم فجذبوه جذباً خشناً كخشونة مطامعهم ، جذبوه من ردائه حتى احمرّت صفحة عنقه ...

حوّل نظره اليهم برصانة القائد العظيم واناة الفيلسوف الحكيم ، والنبي الملهم وتقدم من جمل فتناول منه وبرة رفعها بسبابته وابهامه امام نواظرهم حتى شهدها الجميع وقال بصوته العذب النبوي :

« والله ما لي من فيئكم ايها الاعراب ولا مثل هـذه الوبرة ، ولو كان لي مثل شجر تهامة نعماً لفرقته عليكم ولم تجدوني بخيلاً، ولا كدود ولا جباناً » .

بهذه الاخلاق الرفيعة انتشر الدين المحمدي لا بالسيف ايها المنصفون

بعد خطبة الرسول القاضي ، القائد العام ايها العرب ، بعـد الخطبة القليلة في الفاظها...الكبيرة في معناها وفكرتها تلقحت نفوس الاعراب الحنظلية الوقحة بغضبتها الجاهلية ، ومطامعها الجاهلية ، فاصبحت تفاحاً سكريا متبلوراً واصبحت اعناباً ، واصبحت ارزاً ، وهكذا كوّن الرسول ضمائر جديدة ، وعقول جديدة .

لذا ادرك الاعراب ان الرسول وهبهم الفيء عن قوة ومقدرة لا عن ضعف وقصور وانه فوق الاموال الارضية والذهب العـالمي . لذا نادوا مكبرين بصوت جهوري نادى كل فرد منهم : **الله اكبر، الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله .**

هكذا كان يعلم رسول العرب والامم وهكذا كان يعمل بما يعلم . وبمثل هذه المثل الطاهرة تغلب على اعظم قوى فانتشر دينـه بالاقتناع والمثل الاعلى ، لا بالسيف .

لقد تغلب على المشركين، وآلهة المشركين ..ء انتصر على المنافقين والدساسين . انتصر على المتآمرين من العرب ومن الفرس والرومان[1].

---

(١) ولاية عثمان الحويرث على مكة ، يقول الدكتور « كول»في كتاب عنوانه « محمد والاسلام » المطبوع سنة ١٨٨٩ان في سنة ٦١٠الميلاد اي قبل الهجرة النبوية باثنتي عشرة سنة ولى -هرقل- عثمان الحويرث على مكة بعد ان تنصر عثمان .

ولاه وزوده بكتاب الى قريش يحثهم فيه على طاعته، ويهددهم ان تمردوا . يهددهم بمصادرة تجارتهم فقبلوا ولاية عثمان اولا ثم خرجوا عليه بتحريض ابن عمه حمزة فصادر هرقل تجارة المكيين وكتب الى عمرو حاكم اليمن ليسجن كل تاجر مكي يجيء اليه اذا اشار بسجنه عثمان ، ذلك لان عثمان فر الى اليمن ...

الفرس والرومان الذين كانوا يتحكمون في البلاد العربية سياسياً واقتصادياً .

الفرس والرومان الذين كانوا يستخدمون البلاد العربية حتى مكة المكرمة ، سوقاً لاقتصادياتهم وتجارتهم ونفوذهم السياسي .

الفرس والرومان الذين رعبوا من هذه الرسالة الجليلة التي ابتدأت تجمع العرب المفرقين المتخاصمين امبراطورية قوية لذا دسوا جواسيسهم في كل مجتمع ودسوا شعراءهم النفعيين المتعيشين في كل ناد يسبئون ويكفرون ، ودسوا ساستهم يتآمرون مع العرب المنافقين على الرسول ويهيجون المشركين على قتله .

ولكن حكمة الرسول ، وعدل الرسول ، وادب الرسول ، وعناية الله بسفيره ، عصمته من اعدائه ، من الوف اعدائه ، حفظته حتى من الدولتين المستعمرتين القويتين : من فارس وروما .

..

اما كيف حلت نعمة الله في دماغه ، وكيف جسد الله الواحد الصمد في شخص الرسول الحقيقة فاسمعوا ايها الناس :

ظل المشككون الجاحدون يسألون الرسول اية معجزة .

معجزة غير علمية ، وغير خلقية ، يسألونه ان يغيّر نظام الكون فيفجر الماء مثلاً من صخرة ، وينقل الجبل باشارة ويوقف الشمس بكلمة والرسول العظيم يعلم قوله تعالى « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » فيقول بلسان القرآن « سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً » .

واتفق ايها العرب واراد الله ان يصاب الرسول بآخر ابنائه الذكور .

اتفق ان يصاب بفلذة كبده ابراهيم، واتفق اثر موت الطفل ان كسفت الشمس .

في تلك الساعة اخـذ الناس ورعبوا ونادوا تلك معجزة ، وتقدموا من رسول الله وسفيره صائحين: تلك معجزة يا رسول الله ان الله كسف الشمس لانك اصبت بابراهيم .

بسرعة الاثير الكوني فكـّر الرسول بالمعجزة ... وفكـّر بقوله تعالى وسنته .

فكـّر في موقفه ، وايمان الناس ، وجحود الجاحدين ..

فكـّر في جواسيس الامتين، الامة الفارسية والامة الرومانية الذين كان منهم يومئذ في ذلك الموقف عدد عديد... وفكـّر بالحقيقة المضطهدة.

ما سكت ... ما قال انتم قلتم ... ما تنحى ناحية وصلى وشكر، ليؤمن الناس بالمعجزه ... ما قبل بتحليل بعض فلاسفة البشر، ومبدأ الطغام القائلين « الغاية تبرر الواسطة » وان كانت تلك الواسطة « كذبة بيضاء » لا تضرّ احداً بل تفيد الغاية وتمكنها من النفوس ... ما خشي ردة ضعفاء الايمان ..

لقد أجال بصره الوديع الحكيم في القوم .. بعد ان حدّق في جثة وحيده المسجاة امامه ، وخاطب الصائحين مخاطبة الله لسفرائه الصالحين:

خاطب الناس جازماً ومعلماً .

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة » .

نعم ايها الناس ، اجل ايها الحساسون لم يكن الكسوف معجزة، كان

سنة طبيعية... وحدثاً كونياً... ولكن ألا ترون ان اعتراف الرسول في هذا الموقف بالحقيقة رغم العوامل التي تحيط به « معجزة ».

ألا ترون منها ان الرسول كان يدرك منذ اربعة عشر قرناً علم الفلك ، الفلك المتحرك العامل ابداً الساكن بنظرنا : وان الرسول كان يفهم التكوين والنظام الشمسي كما يفهمه العلم اليوم وانه ما كان ينطق عن هوى ...

هذه « معجزة » في مكانها وزمانها ايها الناس ، معجزة ما ذكرت لعظيم ، وما عرفت عن بشير ، ونذير ، ورسول .

بهذه « المعجزة » العلمية الخلقية وامثالها انتشر الدين الاسلامي ، لا بالسيف .. ان السيف لا يفتح القلوب ولا ينير البصائر والعقول ، والرسول قد افتتح القلوب واثار البصائر والعقول ...

ان الاسلام ما استخدم السيف سوى لحماية العدل ، وحصانة الحق ، وحرية الحياة ، واستقلال العرب ، والدفاع عن الضعيف المظلوم ، فاذا قلتم ان الدين الاسلامي انتشر بالحق والعدل والتسامح والجرأة والعزة لا بالسيف ، فقد قلتم حقيقة .

لقد ختم الرسول العظيم بيانه « فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة » .

أتدرون كيف مثل المؤمنون آنئذ ، وكيف عجب المشركون والمنافقون ، وكيف دهش جواسيس الامبراطوريتين : الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية ، وعمال الامبراطوريتين المستعمرتين

اما لو كان المذياع « الراديو » في ذلك العهد وكنتم تسمعون هنا في دمشق ... وكانت الرسوم الناقلة عن بعد ، وكنتم تشاهدون ، لشهدتم الالوف تخر مكبرة .

ولسمعتم اصوات الالوف حتى المنافقين منهم... وحتى الجواسيس... وحتى عمال المستعمرين عبيد الذل وأرقاء الخيانة ...

كلهم ينادون بصوت واحد وقــد تطهر الرجس من صدورهم ، ينادون . الله أكبر ، الله اكبر ، نشهد ان لا إله الا الله ونشهد ان محمداً رسول الله . نشهد انك بشير الحق يا محمد وانك – كما قال ربك – لعلى خلق عظيم » .

والكنتم في ذات الوقت سمعتم مغاور احد، ورماة، وسلع وسليع، و... جبال المدينة، كما سمعتم، العقيق وبطحان، وقناة و... وديان يثرب كلها تردد قول المؤمنين ، وتستشهد استشهاد الجواسيس والمنافقين ، وعمال المستعمرين .

بعد هذا ؟.. بعد هذا ألا يرى العالم العربي ان الواجب يقضي عليه بانشاء « متحف محمدي » .

وان اربعة عشر قرناً تناديه بامجادها لاقامة ذلك المتحف الدائم في عاصمة من عواصم الامبراطورية العربية كدمشق مثلاً .

ان متحفاً كهذا يصبح محجاً لطلاب المعرفة ، وعشاق الفكر ، والنور ، والحق ، والعلم ، والعدل .

في ذمة العرب هذا « المتحف المحمدي »[1] وفي ذمة الحساسين العلماء – سيرة الرسول الجامعة ، البريئة ، الحكيمة ، وفي ذمة العرب وعلماء العرب ما خلف رسول العرب والامم من تشريع أممي ، وعائلي ومن آثار فكرية مقدسة تسعد العرب كلهم وتسعد البشر جميعهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) على الصفحات السابقة صورة مصغرة عن شكل المتحف المحمدي الذي نقترحة على العالمين العربي والاسلامي .

لم لا يكون لاثار محمد (ص)
المتحف اللائق بصاحبها

بقلم الاستاذ طه المدور

لقد راقني من الاستاذ الصديق لبيب الرياشي الاقتراح الذي ورد في خطابه بحفلة التكريم التي اقيمت له في بهو المجمع العلمي المتضمن ان يقوم المسلمون الى تأسيس متحف خاص باثار الرسول العربي صلى الله عليه وسلم في نفس مدينة دمشق يضم كل ما تقع عليه اليد من مخلفاته ويصبح محط زيارة الامة الاسلامية من كل فج وصوب .

الحق ان الاقتراح نفيس جداً ، والحق ان المسلمين قد قصّروا الى اليوم بعدم تفكيرهم في ايجاد هذا المتحف المبارك بجانب ما اقاموا من المتاحف في الاستانة والقاهرة ودمشق وغيرهـــا من المدن والعواصم الاسلامية كمتاحف آثار البزنس والرومان ، والعرب ، والفراعنة وما شاكلها مما اصبح امره معلوماً وبات الالوف من الزوار يفدون اليها من جميع اقطار اوروبا واميركا .

الجميل في هذا الاقتراح انه صادر عن قلم اديب مسيحي امتلأت نفسه العربية الكبيرة بحب الحقيقة وتعشّق شخصية محمد صلى الله عليه وسلم . وبقدر ما نأسف على ما فاتنا نحن معاشر المسلمين من التفكير بامر هــذا

المتحف في الماضي وفي الحاضر نشعر في نفس الوقت بالغبطة والشكر لقيام احد ابناء العرب بايقاظ الامم الاسلامية الى تعظيم مقام الرسول المجتبى بجمع اثاره المشتتة في اقصى الارض وتكوين متحف لها يكون ينبوع البركة وموضع الدروس التاريخية الاسلامية ، وحجة قاطعة على قدسية روح محمد السامية وسمو شريعته ، ونبوغه الذي لا يضارعه نبوغ وجهوده الجبارة في تكوين الاسلام ونشر رايته في كل فدفد ووهاد . هذا فضلاً عما يحدث من حركة السواح في دمشق التي اذا كان معدل عدد الذين يؤمونها منهم كل سنة خمسة آلاف سائح ، فلا ريب في انهم يصبحون بعد تأسيس هذا المتحف عشرة آلاف او اكثر .

هذا المسيح عليه السلام ، انظر الى اتباعه المسيحيين والى المتاحف العديدة التي أسسوها لآثاره في معظم البلدان المسيحية الكبرى كرومية والقدس وبلژاك وبروكسل وموسكو « الكرملين » وجنوه واثينا وغيرها ، وانظر الينا معاشر المسلمين وقد بعثرنا اثاره واهملناها فنرى شعرة من لحيته الطاهرة عليه الصلاة والسلام في الاستانة وكتابه « المرسل الى المقوقس » في مصر . وجبته في المدينة ، وخفاً في صنعاء اليمن ، واثار اخرى هنا وهناك مما لا يتفق مع تعلق المسلمين بجنابه الكريم ، ومما لا يتفق مع عظمة شخصيته صلى الله عليه وسلم ، ومما لا يتفق مع الكرامة القومية العربية ، بجانب الكرامة الدينية ، لان محمداً (ص) هو بنظر الاوروبيين المنصفين فيلسوف عربي كما انه نبي اوجد الشريعة الاسلامية السمحاء فبذت بتعاليمها العالية جميع الاديان .

كنت اتردد طيلة اقامتي في رومية على « مكتبة الفاتيكان » فانهمك في التحري عن الكتب الخطية العربية والاثار الاسلامية التي تعد هذه المكتبة المسيحية القحة اغنى موئل او متحف في الحقيقة لمجموعة النفائس والكنوز الاسلامية وكثيراً ما كان يرافقني في هذه الزيارات الصديق

المستشرق الشهير الكولونيل لبرتيني فكنت امتعض في باطني كلما شاهدت اثراً او كتاباً اسلامياً وضع بكل تكريم وعناية بمكان خاص داخل الكنيسة البابوية ثم كنت اتساءل قائلاً :

« رباه ألا يكفي ان الدهر قد شتتنا اقواماً متفرقة ، ومبعثرة ولم يشأ ان يكون منا مجموعة جبارة موحدة ومتلاحمة فشتت ايضاً آثار ابطالنا وعلمائنا وملوكنا ، وجعلها اكلة سائغة للامم غير الاسلامية فاقتبسوا منها انوار العلم والهداية والفن والفلسفة ، فكانت لهم من وراء ذلك نهضتهم وكانت لنا رقدتنا وانحطاطنا كما انت ترى بام عينك !؟

وكان ألمي يزداد كلما اخذ « لبرتيني » يذكر لي — وهو الخبير بكنوز الفاتيكان — التاريخ والمكان اللذين أتي بهما بالكتاب الفلاني من ديار الاندلس او الشام مثلاً وبالاثر الفلاني الذي عاد به ابطال الحروب الصليبية من الشرق .

وحدث مرة ان وقفنا امام قطعة من القماش البني تشبه في تفصيلها وهيئتها جبة او عباءة وحفر تحتها بعض الكلمات في اللاتينية على قطعة من النحاس ، فعندما هممت بقراءتها قاطعني قائلاً وهو يتبسم :

— الجلـد ، الجلـد يا استاذ مدور ؟..

— وماذا تعني ؟

— اكمل قراءتك .

وما كدت أتمم قراءة ما حفر على اللوحة النحاسية الصغيرة حتى شعرت بان الارض تكاد تميد تحت اقدامي ، ووقفت مبهوتاً كالصنم فقال

— نعم هو ما قرأت ، هي الحقيقة .

– أجبة سيدنا عمر بن الخطاب هذه ؟

– اجل هي جبته او رداؤه او عباءته.. مهما شئت فسمها .

و كيف جاءت الى هنا ومن جاء بها ومن اين ؟

وانت ترى ان كلماتي هذه كانت تشبه كلمات المحموم الذي اخذته هزة الداء وشدة وطأته فبات يهذي ويهرف وهو لا يدري ما يقول...

فتبسم الكولونيل مرة اخرى وقال :

– لقد جيء بها من عندكم ومن دياركم ...

**

خلاصة ما اريد ان اعرضه على مسامع قراء هذه الجريدة الراقية في هذه الاسطر القليلة اننا معاشر المسلمين قد قصرنا، ثم اهملنا امراً كان الواجب يقضي علينا بان نجعله في مقدمة الواجبات وهو تأسيس هـذا المتحف مختتماً كلمتي بالرجاء الى عشاق الرسول صلى الله عليه وسلم « و كلنا من عشاقه » ان يبادروا الى تكوين عصبة من خيارهم تسعى وراء هذه الغاية النبيلة « ووضع خطة لها تسير عليها ، والامل كبير جداً بانها تصل ان شاء الله الى اخراج فكرة هذا المتحف الى حيز الوجود ولديّ الشاهد الآتي على ان المسعى يكون موفقاً بحوله وقوته .

حيث ان المرحوم السلطان عبد المجيد احد خلفاء آل عثمان تسرب الى علمه بانه يوجد في بعض متاحف « بطرسبرج » احد خفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتصل بصديقه القيصر نيقولا الاول ورجا اليه ان يهديه هذه القطعة المباركة بالنظر لما لها من المنزلة المقدسة في نفوس المسلمين . فلم يكذبه القيصر الخبر واعلمه بانه امر بارسالها الى الاستانة معززة مكرمة .

وبالفعل حضرت في احد الايام دارعـة روسية كبرى الى الاستانة

والقت مراسيها امام القصر السلطاني المسمى « سراي بروتي » وحيّت المدينة بمدافعها ثم نزل منها قائدها وهو يحمل صندوقة مذهبة ومصنوعة من خشب العاج وركب زورقاً وقصد الرصيف الممتد على طول شاطيء قصر « سراي بروتي » حيث كان جلالة السلطان عبد المجيد واقفاً مع رجال الحاشية والصدر الاعظم والقواد والعظماء ينتظرون قدوم الزورق والخشوع باد بين عيني جلالته حتى اذا وصل خرج منه القائد الروسي وتقدم من جلالة الخليفة منحنياً امامه ثم سلمه الصندوقة بكل احترام واجلال قائلاً :

« ان جلالة مولاي القيصر قد كلفني بان ارفع الى جلالتكم بكل تعظيم هذه الهدية الثمينة المحتوية على اثر من اثار نبيكم الكبير وهو يقريء جلالتكم وافر سلامه واحتراماته » .

فتناولها جلالة السلطان ووضعها بعد ان قبّلها على رأسه وظل كذلك ولم ينزلها عن رأسه رحمه الله وبل ثراه برضوانه حتى صعد بها الى احدى غرف القصر ووضعها في المكان المخصص لها بعد ان اعاد تقبيلها مرة ثانية كما تقدم الى تقبيلها ايضاً رجال الدولة وعظماؤها .

ويقول المؤرخون ان جلالته مشى الصندوقة على قدميه مسافة ٩٠٠ متر وظل يبكي بكاء الوجد الدال على الغبطة والتقوى والعشق الصحيح لشخصية محمد صلى الله عليه وسلم حتى وضعها في مكانها .

ان دل هذا الحادث التاريخي الطريف على شيء فانما يدل على شغف المسلمين من سلطانهم الى اميرهم ، الى وضيعهم بحب نبيهم المجتبى صلى الله عليه وسلم ، شغفهم باستماع سيرته ، وشغفهم بتتبع خطواته ، والتماس شريعته وشغفهم بزيارة قبره المقدس ، وشغفهم واعجابهم بسمو منزلته

عند الله وحلمه وشجاعته وفصاحته ، وشغفهم بجمع اثاره والتبرك بها .

فلنعمل على جمع هذه الاثار الطاهرة في متحف يكون كعبة الزوار من اقاصي الارض وادانيها . بين معجبين ومؤمنين والله الهادي الى سواء السبيل .

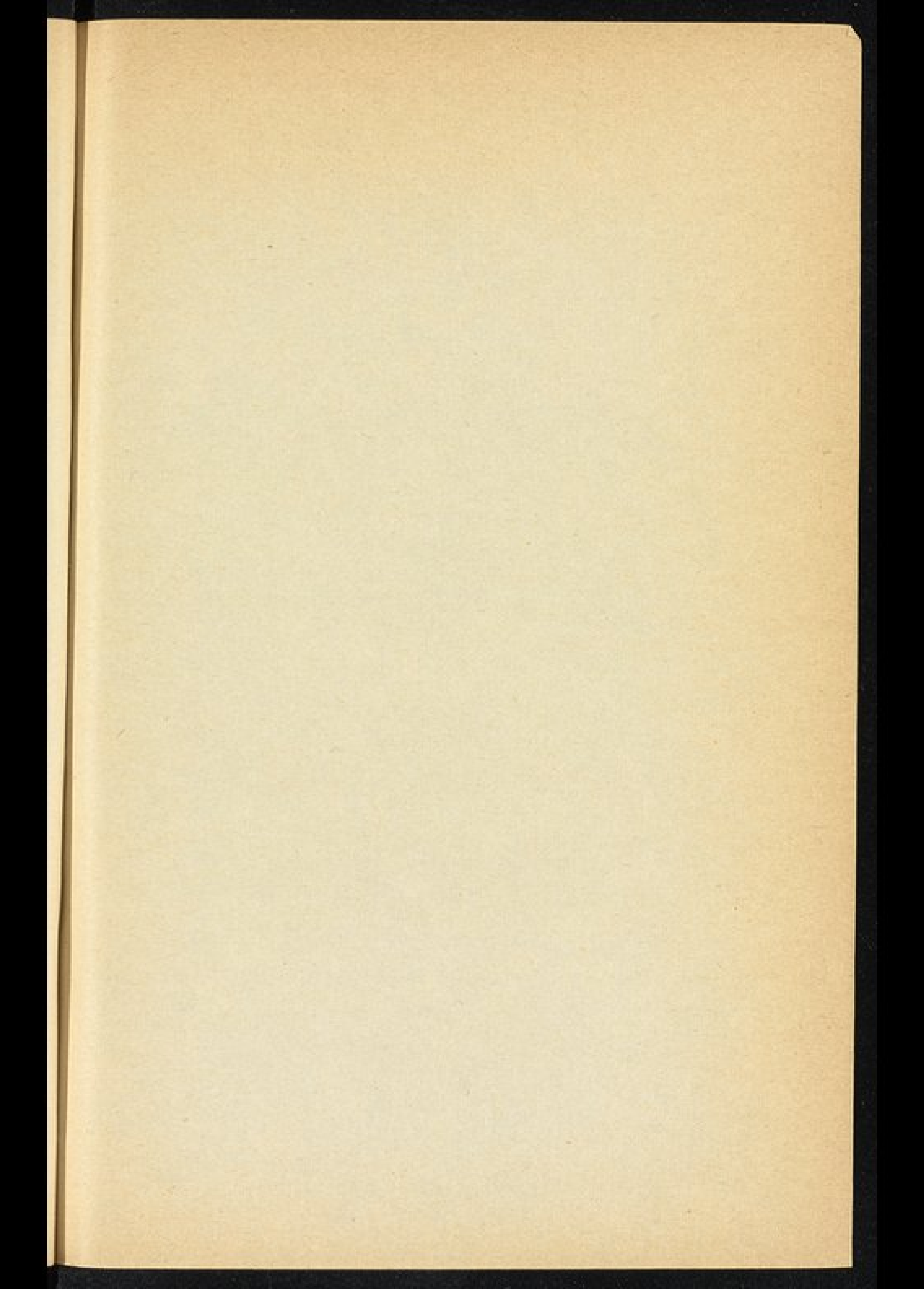
***

«المؤلف» نشر الاستاذ مدور الخصب الشعور مقاله السابق في جريدة « الايام » الدمشقية المحترمة — فكان لمقاله صداه المستحب في جميع الاوساط العربية والاسلامية .

على ان الاستاذ نظر الى المتحف الذي اقترحنا تأسيسه ورفعه من ناحية الاثار الجسمانية والمادية فحسب اما نحن فان اقتراحنا اهم واوسع واشمل واجل ، والمطالع يدرك جماع الاقتراح عند مراجعة كتابنا هذا .

محتويات الكتاب الاول

محتويات الكتاب الثاني



درس فلسفي

ETUDE PHILOSOPHIQUE

للعالم الفيلسوف الدكتور رضا توفيق ، منزلة محترمة جلية في العالم العلمي الاممي ، لذا ، يبتهج رجالات العلم من اي الامم ان يكتب الدكتور مقدمة تحليلية لهذا الكتاب .

واذا كان الفيلسوف يضع مقدمته في بوتقة اللغة الفرنسية فلانه يجيد هذه اكثر مما يجيد اللغة العربية

ويسرنا نحن ان ننشر تحليله القيم ، وبحثه الجليل ، في اللغة التي كتب بها لتحتفظ ببيان الفيلسوف ، وروحية العـــالم ، ويفهم غير العرب جوهر الاسلام ونفسية الرسول العربي العالمي .

Je suis heureux de profiter de l'occasion exceptionnelle que Mr. Labib Al-Riâchi vient de me fournir par l'impression de son excellent ouvrage sur la philosophie de l'Islâm, pour le féliciter très cordialement de sa tâche si louable et si bien accomplie.

J'avais connu cet auteur consciencieux, lors d'un court séjour que j'avais fait à Baalbeck en (1925), où j'avais été invité à donner une conférence en Français sur la philosophie de l'Art. Mr. Labib se trouvait parmi les personnes éclairées et distinguées qui m'avaient fait l'honneur d'assister à cette conférence. Ce n'est que depuis un an que je l'ai bien mienx connu lorsqu'il vint m'entretenir sur certaines questions fondamentales de la Religion et de la philosphie générales. Dans nos dernières entrevues il m'a lu la première partie de son ouvrage. Je l'ai trouvé très intéressant, très bien documenté surtout. Ce sera donc avec un vif plaisir que je vais émettre une opinion toute personnelle sur la question fondamentale qui constitue le sujet même de cette belle œuvre accomplie, pour faire ressortir le mérite de l'auteur et de son ouvrage en même temps.

La Religion m'intéresse tout autant que la Science

positive et plus que la philosophie, qui n'est , à mon humble avis que l'art de faire des hypothèses plus ou moins plausibles pour donner nne signification rationnelle, aux énigmes, qui surgissent de tous côtés et se dressent devant notre intelligence faible et bornée, sitôt qu'elle dépasse ses propres limites, pour méditer sur la Réalité inconnaissable en perpétuelle transformation. Alors tout est mystère pour notre intelligence émerveillée, et l'existence de la moindre des choses est un miracle. La philosophie générale n'a jamais pu résoudre par ses hypothèses les énigmes de l'existence, qu'elle a elle-même découverts; et tant qu'elle ne pourra pas les résoudre définitivement, nous serons forcés de croire à la Religion, et la foi nous consolera et nous sauvera. Il n'y a pas d'autre alternative pour nous. La Religion est l'expression de la foi qui n'a aucun rapport avec la logique et ses arguments. C'est un état d'âme qui est propre au sentiment le plus dominant et le plus profondément enraciné de notre personnalité spirituelle : le sentiment religieux, comme on est convenu de l'appeler faute d'une expression meilleure. Le Korân a si bien exprimé cette conviction inébranlable que l'âme acquiert et se tranquillise par la foi, avec ces deux mots: النفس المطمئنة

Voilà pourquoi la Religion m'a vivement intéressé et je me suis toujours préoccupé sérieusement de ses questions fondamentales.

Je sais bien que plusieurs écrivains très érudits et beaucoup d'orientalistes de grand mérite se sont vivement intéressés aussi aux questions fondamentales qui constituent la base commune de toutes les Religions ; je sais qu'ils ont consacré de longues années à l'étude approfondie des grands systèmes religieux tels que le Bouddhisme, le Brahmanisme, le Zoroastrisme, et les Religions sémitques, et surtout l'Islâm. J'ai lu attentivement quelques uns de ces ouvrages fameux. Je connais aussi quelques œuvres horribles, écrites par des sectaires tout à fait bornés et fa

natiques, et quelques autres écrivains qui se sont occupés de la critique des livres sacrés dans un but vilement politique et profanèrent impunément le nom sacré de la Religion. Je laisse de côté cette catégorie d'écrivains. Mais, même parmi les écrivains sincères, il n'y a — d'après ma connaissance — que très peu de gens qui ont réussi à bien saisir l'esprit de l'Islamisme tel que mohammed s'en était inspiré et tout à fait imprégné pour fonder une Religion qui fut en elle-même le plus étonnant miracle que je connaisse !.

Une vaste et profonde connaissance et une sincérité inébranlable sont certainement nécessaires pour mener à bonne fin une étude de ce genre; mais de grandes qualités de cœur et d'esprit sont tout aussi indispensables pour pouvoir dégager et mettre à jour la sainte Vérité qui brille avec plus ou moins d'éclat au fond de toute Religion. C'est cette vérité toute frémissante de vie, qui est indubitablement la source intarissable des plus nobles émotions humaines, de tout acte de bienfaisance et de toute vraie civilisation; la science ne peut fournir que les moyens matériels d'une civilisation, qui est en voie de réalisation.

Je ne pourrai pas m'empêcher de rapporter ici les paroles si justes et les considérations si remarquables de [G. W. Leitner] membre de plusieurs sociétés savantes et un érudit considérable et consciencieux, l'un des plus judicieux auteurs qui ont publié des études importantes sur l'Islâm. Voici comment il procède dans une des plus savantes monographies qui aient été écrites pour le Mohammédanisme. Je donne ici la traduction exacte et textuelle de l'original anglais imprimé dans un gros volume sur [les systèmes Religieux du monde] .

«Ma connaissance spéciale du Mohammédanisme avait commencé à l'école d'une Mosquée à Constantinople en 1854, où j'avais appris par cœur une portion considérable du Korân. j'étais associé aussi avec des Mohammedans de différentes sectes en Turquie, aux Indes et ailleurs, et

j'ai étudié l'arabe qui est la langue dans laquelle leur littérature sacrée est écrite. Je peux vous faire remarque tout de suite que sans la connaissance de l'arabe il est impossible d'exercer une influence quelconque sur l'âme Mohammedane: mais je voudrais ajouter à cela qu'il y a quelque chose de mieux que la connaissance pure et simple de la langue; c'est la sympathie qui est la clé de la signification qui insuffle la vie à la connaissance qui ne serait autrement qu'un os mort عظم رمیم »

«il y a des exemples, parmi les érudits éminents, qui pour avoir manqué de sympathie, ont été victimes de grosses erreurs et ils ont mal jugé le Mohammedanisme. Sir William Muir, par exemple, a été entraîné à commettre de sérieuses erreurs, en traitant comme il l'a fait cette Religion ».

J'ai voulu rapporter expressément ces judicieuses considérations de Mr. Leitner pour démontrer le fait que ce ne sont pas les musulmans seulement qui se plaignent de l'injustice de certains écrivains notables qui se sont occupés de l'étude critique de l'Islâm, non seulement sans aucune sympathie, mais avec une foule de malheureux préjugés qui dénotent très précisement chez eux une singulière mentalité médiévale. Quelques-uns des meilleurs auteurs en effet, dignes de respect pour leur vaste connaissance et leur honnêteté, ont été victimes de regrettables erreurs, tout simplement par manque de sympathie, comme Leitner en a donné l'exemple.

or M. Labib Al-Riâchi a d'abord un très grand avantage sur les meilleurs écrivains étrangers sous ce rapport, c'est qu'il est purement arabe et il est excessivement sensible à toutes les finesses de cette riche et belle langue, qui est celle de ces glorieux ancêtres et le patrimoine commun de tous les arabes, musulmans, chrétiens ou quels qu'ils fussent. Il est dit dans le Korân ... وجعلناه قرآناً عربياً ! dans le plus pur des dialectes arabes. Nous savons très bien à quel

point les arabes chrétiens ont contribué à la conservation et à la renaissance de cette merveilleuse langue, qui peut suggérer par un mot ou par une phrase à tout arabe — sans distinction de religion — les liens indissolubles d'une fraternité d'origine et toutes les gloires historiques et culturelles qui s'y rattachent. Je n'ai qu'à rappeler ici les glorieux noms de Al-Bostani, Al-Yazidji et celui de mon grand ami le très regretté Suleyman Al-Bostani et tant d'autres parmi les plus récents, pour ne citer que les Libanais. Et qu'on lise une page seulement de leurs œuvres pour se convaincre de leur respect pour le Korân et pour Mohammed. Tout arabe plus ou moins cultivé est infiniment plus familier avec le sens du Korân que des millions et des millions des bons musulmans non arabes qui ne connaissent pas un mot d'arabe.

C'est bien cette parenté d'origine, qui est la source du noble enthousiasme qui caractérise si admirablement le langage de Labib Al-Riâchi, quand il traîte de la psychologie de Mohammed. J'avoue ne pas être un juge impeccable pour pouvoir émettre une opinion de quelque valeur que ce soit, sur son style si vif et si mouvementé : je ne connais malheureusement pas assez l'arabe, mais je sens que dans ces quelques pages préliminaires, l'auteur a pu s'élever à un degré supérieur de l'éloquence oratoire. Tout ce qu'il dit sur le caractère, sur la mentalité et la sentimentalité de محمد الامين est plein de vie et de relief; donc, jailli d'une ferme conviction.

Avec toutes ces qualités de cœur et sa maîtrise dans l'art d'exprimer ses idées, il a fait preuve des qualités d'esprit tout aussi remarquables. Il a dû étudier pendant de longues années avec beaucoup d'intérêt et de sympathie l'Islâm tel qu'il a été révélé par le Korân et les traditions du Prophète. Sa probité intellectuelle est sans défaillance et sans tâche, telle qu'elle devrait servir d'exemple à tout écrivain du même genre. Ses recherches historiques

sur la vie privée et publique et la mission du Prophète est un modèle d'investigation patiente bien dirigée en vue de reconstituer le caractère éminement noble et superhumain de Mohammed. Riâchi l'appelle le superhomme, et nous l'approuvons; c'est bien lui, s'il en fut un au monde, tout en le considérant toujours comme un homme, quisqu'il n'a jamais manqué de répéter dans le Korân qu'il n'était que عبده ورسوله et de dire à tous انما انا بشر مثلكم . Et après avoir reconstitué cette figure si exceptionnellement noble, Labib s'exclame dans un moment vraiment sublime et dit :

حقاً . . . يا محمد بن عبدالله انك الشاعر الاعظم
حقاً . . . انك السوبرمن الاول العالمي
رسول الثقافة والعلم ، ورسول الهداية والتضحية
رسول الفلسفة الجديدة
ورسول الانسانية الجديدة

Que ce langage est superbe et noble par sa concision pleine de signification. Ou aurait pu croire que c'est le fameux (Carlyle) qui parle en fameux du prophète. Je suis particulièrement heureux d'entendre cet aveux si honnête de la bouche de Labîb qui n'est pas musulman, mais quel écrivain musulman aurait pu s'exprimer aussi bien et aussi heureusement que lui pour donner l'idée la plus exacte sur le vrai caractère et la vraie mission de Mohammed avec quatre petites phrases merveilleusement éloquentes?

Ces paroles si justes qui jaillirent directement du cœur de Labîb sont la plus impressionnante expression de la conviction inébranlable qu'un homme éclairé et très honnête puisse acquérir par ses longues études et par sa sympathie sur la Religion islamique: et il n'y a rien d'exagéré dans ce qu'il dit, car l'histoire approuve complètement et parfaitement le bien fondé de ce jugement.

Je n'ai malheureusement pas ici assez de temps et d'espace pour donner même un court aperçu de toutes les phases de cette glorieuse histoire. Que l'on se rappelle

seulement de ce qu'était en général la vie privée, publique, sociale. politique des peuplades arabes qui vivaient depuis l'antiquité immémoriale et tout à fait inconnus et méconnus dn monde, dans la presqu'île qui fut leur berceau. Que l'on se rappelle ensuite, l'idéal et la morale que Mohammed leur a apportés par la Révélation de l'Islâm, l'énergie vitale qu'il leur a communiquée, la discipline individuelle et sociale qu'il a instituée chez eux, les vastes horizons qu'il leur a ouverts, et la dignité qu'il leur a conférée, pour faire de toutes ces peuplades barbares et fratricides qui s'entre-dévoraient pour vivre une des plus grandes nations dominantes du monde par leur civilisation et leur culture si admirables. Qu'on se rappelle du fait que sitôt après la Révélation de l'Islàm ces mêmes arabes produisirent des hommes de génie qui feraient honneur à n'importe quelle grande nation moderne en nombre considérable; que l'on se rappelle qu'en moins de vingt ans ces arabes conquirent la moitié de l'Europe civilisée et tout le nord de l'Afrique et jusqu'aux Indes vers l'Est et traîtèrent les pays conquis avec une noblesse chevaleresque et une bienveillance et une tolérance inconnues même de nos jours. Je peux prétendre sans crainte d'être contesté qu'on ne peut pas montrer un autre exemple de ce genre qui puisse être comparé à cet étonnant miracle politique, social et moral à la fois que l'Islâm avait produit. Qu'on lise les œuvres historiques des grands savants comme G. William Draper et Gustave Lebon et d'autres encore, l'on verra que la Conquête Islamique ne ressemble d'aucune façon à la dévastation des pays civilisés par les terribles hordes mongoles et les conquêtes des barbares germains qui anéantirent l'Empire Romain et tous les pays q'ils dévastèrent.

Il ne faut pas oublier que Mohammed n'est pas seulement l'un des plus grands bienfaiteurs de l'humanité et l'un des plus puissants promoteurs de la civilisation comme les autres انبياء اولو العزم ، mais il fut aussi le plus grand bien-

faiteur de toute l'immense communauté d'arabes ; il est le facteur de la vraie renaissance arabe النهضة العربية dans le monde et pour toujours. Sans ce Noble leader, envoyé de Dieu pour l'exécution de sa volonté, l'arabe serait très probablement resté inconnu dans sa presqu'île, tandis que grâce à la Révélation de l'Islâm, il est entré du coup dans le monde civilisé, et il a montré au monde entier, à quoi il était capable en créant une belle civilisation et une culture qui a dominé tout le moyen âge en Europe et dans le proche Orient. Sans lui et l'immense énergie vitale qu'il a communiquée aux Arabes par l'Impulsion islamique, le génie Arabe et toutes les merveilleuses qualités de race et de capacité que les arabes ont manifestés sitôt après leur conversion à l'Islâm seraient restés lettres mortes à l'état potentiel. Le prophète a eu donc raison de s'exclamer au nom de Dieu, lorsqu'après avoir accompli si merveilleusement sa tâche il dit aux arabes et à tous les autres musulmans : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي c'est vrai, il a comblé de bonheur son peuple et ses croyants ; on voit bien que وما ينطق عن الهوى. ان هو لا وحي يوحى.

C'est un bien grand malheur que quelques uns des grands écrivains sincères parmi les étrangers n'aient pas pu se rendre complètement compte de la conception si vaste, si universelle et si humanitaire de Mohammed pour traiter l'islamisme d'imposture ou pour le moins de le considérer simplement comme une forme schismatique شكل رافضي du Judaïsme ou christianisme qui sont des religions sœurs aînées de l'Islâm. Mohammed a eu la plus noble et la plus vaste conception possible de la vraie Religion d'inspiration Divine qui ne peut dans ce cas qu'être unique et identique dans sa doctrine fondamentale. Il savait mieux que personne que cette Religion avait été révélée à ses illustres prédécesseurs : Noé, Abraham, Isaac, Moïse, David, Jésus-Christ. Il appelle Islâm cette vraie Religion, qui est la seule révélée par la grâce Divine. C'est là la signification vraie de الدين عند الله الاسلام . Mohammed

avait vu que depuis des siècles et bien avant lui, beaucoup des arabes avaient embrassé le Judaïsme et le Christianisme; il s'est entretenu avec plusieurs d'entre eux, il avait été convaincu que ces gens étaient dévoyés de la vraie religion divine, car en effet le judaïsme aussi bien que le christianisme dans l'Arabie d'alors étaient entachés d'une foule de superstitions qui ne pouvaient s'accorder avec le rigoureux monothéisme sur lequel il a basé sa conception religieuse d'inspiration, et c'est lui qui a donné la formule la plus nette, la plus rigoureuse et la plus tranchante de cette croyance essentielle de toute religion monothéistique;

قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد .

Le Korân recommande de suivre la Religion orthodoxe telle qu'elle avait été révélée à Abraham et non sa forme altérée حنيف par des apports de croyances étrangères au monothéisme فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً Ainsi donc il ne croit qu'à une seule Religion, qui avait été révélée à tous les grands prophètes qui le précédèrent. Il les vénère infiniment, et il veut rétablir la vraie et l'unique Religion Divine qu'il appelle l'Islâm. Parceque la première condition pour être digne de cette religion, c'est la soumission à la volonté Divine. Ainsi donc le mot Islâm et muslim est toujours employé dans le Korân et pas autrement. Voici quelques exemples de la سورة البقرة :

ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي . قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له مسلمون .

Il est bien certain et bien évident que dans ces آيات le mot مسلمون signifie (reconnaître et croire au Dieu unique de tous les prophètes) et non pas ce qu'il signifierait dans un passeport, ou n'importe quel musulman moderne.

Voici encore deux exemples de la سورة النساء pour finir:

ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن الخ.
ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً .

Il n'y a pas de doute que le mot اسلام et مسلم ne signifie pas justement l'Islâm tel que l'histoire et les vicissitudes de la politique et du sectérianisme l'on fait aujourd'hui, mais bien l'unique Religion monotheiste révélée par Dieu bien des fois aux grands prophètes qui précédèrent Mohammed et que Mohammed a réinstituée pour la dernière fois définitivement, étant envoyé de Dieu comme خاتم النبيين .

On voit bien que le mot Islâm a un sens spécifique très nuancé dans le Korân. Il signifie aussi l'innocence complète, car on ne peut pas le traduire autrement dans ce.
حديث صحيح : « وما من مولود الا وقد يولد على فطرة الاسلام ثم ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه .

Telle est la vérité telle qu'elle est révélée par le القرآن الكريم et on doit chercher la raison de la noble tolérance de l'Islâm envers toutes les croyances révélées par le Dieu unique dans la haute et universelle conception que notre prophète صلى الله عليه وسلم s'était faite de la vraie et unique religion divine. Conséquemment nous, les musulmans, nous aimons et respectons tous les vrais prophètes et toutes les religions divines autant que Mohammed et autant que notre Religion, car la vraie Religion est unique. Pourrait-on donner à سيدنا عيسى عليه الصلوة والسلام un meilleur titre que celui que le Korân lui a donné عيسى روح الله par exemple ? Sous ce rapport l'Islâm tel que Mohammed l'entend est certainement la plus tolérante, la plus universelle et la plus morale des Religions.

Je suis heureux d'avoir constaté que Mr. Labib Al-Riâchi a justement connu la vraie signification de l'Islâm, dans son excellent ouvrage, qui fera époque et gagnera

tous les cœurs honnêtes, soucieux de la Vérité, de la grande Vérité que la vraie religion a révélée au monde.

Je le félicite très cordialement pour ma part et recommande vivement son bel ouvrage à tous.

Dr. Rida Tewfik.

